حوار مع صديقي المكسور

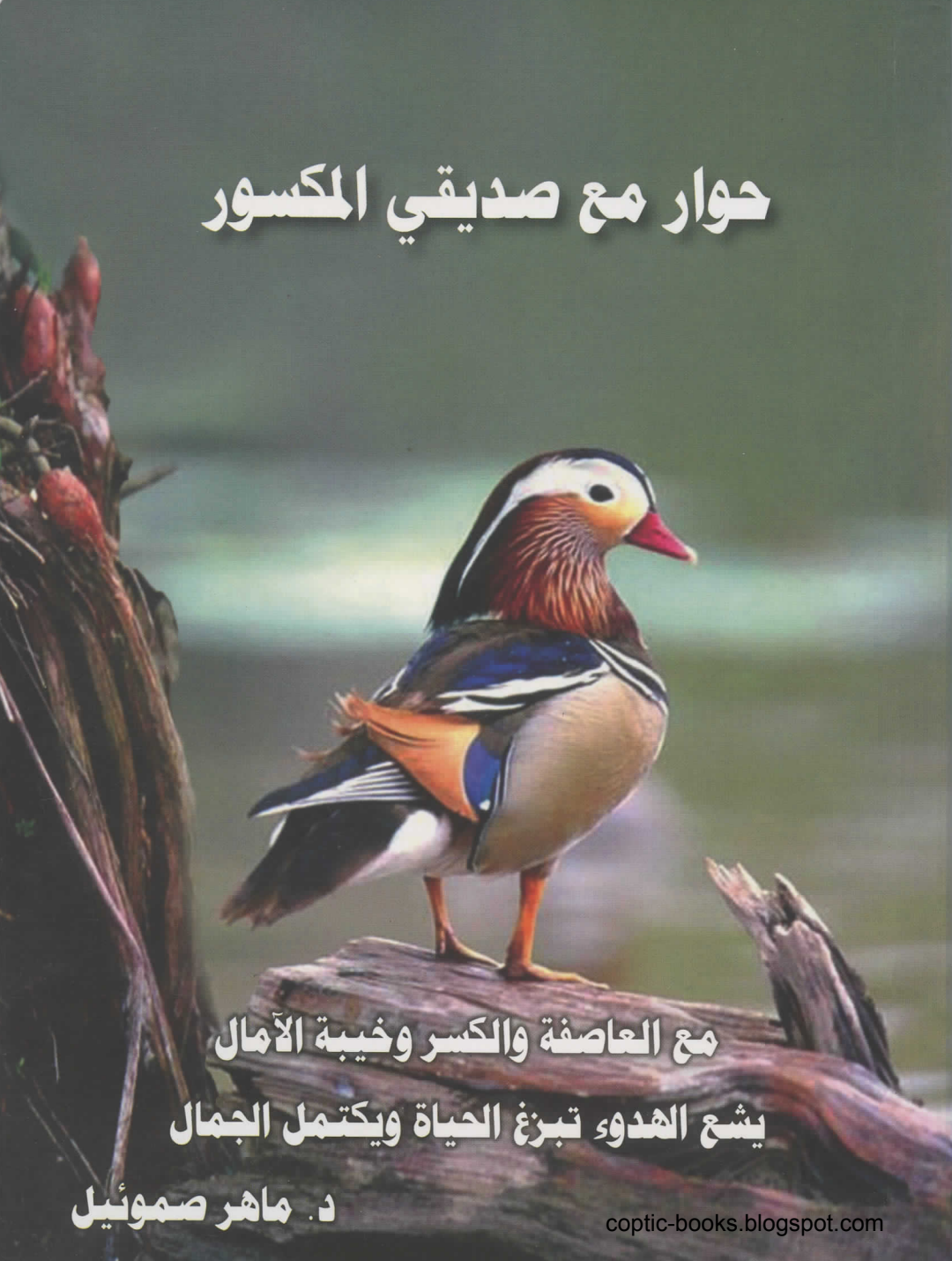

مع العاصفة والكسر وخيبة الآمال

يشع الهدوء تبزغ الحياة ويكتمل الجمال

د. ماهر صموئيل

coptic-books.blogspot.com

حوار مع صديق مكسور

المؤلف :دكتور ماهر صموئيل

يطلب من مكتبة الإخوة: ٣ ش أنجة هانم – شبرا– مصر ت : ٢٥٧٩١٢٤٨

بريد إلكتروني:brethren_bub@writeme.com

وفروعها:

مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعى– تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية: ٦ ش الفسطاط– كليوباترا ت : ٥٤٦٥٣٦٦

المنيـــا: ٦ ش الجيش ت: ٣٦٤٤٠٦

اسيوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٣٤٢٠٢٨

والمكتبات المسيحية الكبرى

الطباعة : رؤية للطباعة : ٠١٠٠ ٧٣ ٢٣ ٥٠٠

رقم الايداع : ١٣٨٦٥ /٢٠١٣

الترقيم الدولى: 978 - 977 - 5056 - 21 - 4

لاى استفسارات يمكن الاتصال ٠١٢ ٢٢ ٢٨ ٢٥ ٢٩

Printed in Egypt

coptic-books.blogspot.com

المحتويات

المقدمة ٥

إهداء ٩

صورة الغلاف ١١

الفصل الأول

الألم والفطام ١٣

الفصل الثاني

الألم والاستخدام ٢٩

الفصل الثالث

مفهوم الاستخدام ٤٣

الفصل الرابع

الألم والقداسة ٥٥

الفصل الخامس

الألم والشركة للاستخدام ٦٧

الفصل السادس

الألم والخضوع ٨٣

الفصل السابع

الألم والإفراغ ١١٥

الفصل الثامن

الألم والمرونة والصلابة ١٢٧

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

المقدمة

لهذا الكتاب قصة
جديرة بأن تُحكى،
أبطالها ثلاثة أحباء
قد رحلوا!
رحلوا ثلاثتهم في ريعان الشباب!

في منتصف التسعينات، وفي إحدى ليالي مؤتمر من سلسلة المؤتمرات التي كنا نقيمها سويًا على مدار عشر سنوات، جاء **أخي الجميل مجدي** إلى غرفتي واستلقى بجانبي وأخذنا حديث الذكريات؛ ذكريات الطفولة والصبا والشباب، حتى نبهنا ضوء الفجر إلى حتمية إنهاء اللقاء. كانت الذكريات في معظمها ذكريات المعاناة؛ معاناتنا الشديدة كعائلة، معاناتنا معًا كأطفال، ثم معاناة كل واحد منا في حياته الشخصية في كبرنا، وقد كان لكل منا نصيبًا وافرًا منها. وبالطبع، تطرق الحديث الى دور هذه المعاناة في تشكيل شخصياتنا وإعانتنا في مهنتنا وفي خدمتنا الروحية. كانت ليلة جميلة تخففنا فيها كثيرًا من ثقل الذكريات الدفينة والتي من الصعب أن تبوح بشفرتها إلا للأخ الشقيق.

اقتحم شعاع الفجر بجرأة خلوتنا آمرًا إيانا بالفراق فأسرعت ورميت بآخر سؤال محدقًا في وجه أخي بتركيز شديد لكي أقرأ الجواب في قسماته قبل أن أسمعه على لسانه، تلك القسمات التي حفظت تضاريس انفعالاتها، وعاينت تطورها منذ أن كان رضيعًا وحتى قبلته قبلة الوداع الأخير. كان سؤالي، «حبيبي: لو عاد بنا الزمن لنبدأ رحلة الحياة على الأرض من جديد، هل تبغي لنا كعائلة، ولك شخصيًا، مسلكًا آخر غير طريق المعاناة والألم الذي سلكناه؟» جلس بعد أن كان

coptic-books.blogspot.com

قد هم بالقيام، حدق في وجهي بنظرة لن أنساها وبعزم شديد ملوحًا بيده بطريقة أعرف معناها قائلاً: «مستحيل، ليس عندي استعداد البتة أن أقبل حياة تافهة بلا معنى في مقابل خلوها من الألم، إن كل شيء جميل نستمتع به الآن، وكل نجاح حققناه، وكل استخدام من إنعام الله، كان على خلفية هذه المعاناة.»

نمت قانعًا مسرورًا، لكن ليس بدون دمعة في عيني !

عدت من المؤتمر وفي قلبي أن أكتب سلسلة مقالات عن دور الآلام في إعداد الخادم للخدمة، لكن التزامات الخدمة أخذتني في مواضيع أخرى حتى جاء عام ١٩٩٨ وهنا تأتي قصة البطل الثاني.

كان **نبيل صموئيل** صديق طفولتي منذ أن كان عمري ثمان سنوات. كانت تحلو لي معه العشرة وتبادل الأفكار؛ كنت أشعر براحة وأنا أشاركه أفكاري وأتكلم بأريحية شديدة معه، إذ كان يفهمني قبل أن أكمل أو أتقن صياغة عباراتي. مرض نبيل بالسرطان وهو في ريعان الشباب وكان لابد من العلاج الكيماوي بعد عملية جراحية كبيرة وقاسية. عدت من سفري وأنا ملهوف لرؤيته لكني خائف من أن تخونني مشاعري عندما أرى آثار المرض على جسد صديقي، وخائف أيضًا من أسئلته، خائف من أن يستجوبني بدلاً من الله، كما يفعل معي كثير من المتألمين.

ذهبت وأنا طول الطريق أصرخ الى الله ليمنحني العون في اللقاء فأضبط مشاعري وأجيب صوابًا إن سألني. دخلت فاستقبلني بابتسامته المعتادة وداعبني كعادته الجميلة، فخفف كثيرًا من توتري، ثم قال: أعرف أنك كنت مترددًا في زيارتي ولا تحب أن ترى آثار العلاج على شعري، ثم رفع غطاء الرأس الذي كان يغطي به رأسه وقال: لا تخف انظر لقد سقط كل شعري، لم تبق شعرة واحدة لم تسقط، لكن تذكر أنه ولا واحدة منهم سقطت بدون إذنه! تخيل لقد شغلته كثيرًا معي هذا الأسبوع؛ لقد ظل يشرف على سقوط شعري واحدة فواحدة!

coptic-books.blogspot.com

أزال إيمانه الراسخ بصلاح الله كل توتري، وجرى الحوار طويلاً عن دور الألم في حياة القداسة والشركة العميقة مع الله.

خرجت من عنده ممتلئًا تعزية، لكن ليس بدون دمعة في عيني !

لمعت الفكرة من جديد، فانتهزت الفرصة ولم أستسلم للمشغوليات، وبدأت على الفور سلسلة مقالات في رسالة الشباب المسيحي بعنوان «حوار مع صديقي المتألم». بعد ثلاث سنوات أنهيت سلسلة المقالات ليس بسبب انتهاء الكلام عن الألم، لكن لأسباب أخرى ليس مجال ذكرها هذا المقال.

طالت حواراتي مع نبيل بعدها، في البيت، في المستشفى، وفي غرفة العناية المركزة، والتي كنت أسميها غرفة الآلام المركزة. كنت أقوم أحيانًا في نصف الليل لأذهب إليه وهو في العناية يعاني ألامًا مبرحة، فيستقبلني مبتسمًا رغم عنف الألم ويكتب على ورقة لعجزه عن الكلام: كان عندي إحساس بأنك سوف تأتي الليلة! ويطول الحوار أنا أتكلم وهو يرد كتابة. طالت حواراتنا حتى جاء يوم ولأول مرة في صلاتنا معًا في نهاية اللقاء طلب من الرب الرحيل. وبعد يومين رحل نبيل، رحل نبيلاً. كثيرًا ما كان شامخًا وأحيانًا كان منحنيًا. لكن أبدًا ما اهتز إيمانه لحظة واحدة في صلاح الله.

فكرت كثيرًا بعد رحيله أن أصدر كتاب خاص بحواراتي معه في ليالي العناية المركزة، وكتبت فعلاً مسوداته، ثم فكرت أن أجمع على الأقل مقالات «حوار مع صديقي المتألم» وأصدرها ككتاب ليكون الخامس في سلسلة قليل من البلسان، لكنني لم أفعل لا هذا ولا ذاك. وهنا تأتي قصة البطل الثالث.

لا أتذكر بدقة تاريخ لقائي الأول بأخي **الحبيب هاني رفعت** لكنني أتذكر جيدًا تفاصيل اللقاء. كان الحوار لاهوتيًا كتابيًا عميقًا كشف لي عن شخصية جادة للغاية في بحثها عن فكر الله، راغبة بإخلاص في الفصل بين فكر الله وما أضيف إليه من أفكار الناس. أبهرني بعمق معرفته، ووداعة شخصيته، وجهاده الروحي الدؤوب. خرجت بانطباع آخر لن أنساه، قلت في نفسي وراء هذا الشاب

coptic-books.blogspot.com

قصة ألم عميق لم يفصح عنها، وأنا تحرجت من إقحام نفسي على خصوصياته فلم أجرؤ على السؤال. تكررت لقاءاتنا وزادت صداقتنا ويقيني الدائم أنه لا نضوج بدون ألم يزيد من إلحاح السؤال فسألته، وعلى الفور انهمرت دموعه بغزارة وأخبرني بقصة ابنه. شاركته الدمع في الصلاة، وعلى الباب وأنا أودعه معانقًا، قلت له: عندي مجموعة مقالات عن الألم ودوره في إعداد الخادم، كنت فكرت منذ فترة طويلة أن أصدرها في كتاب لكني لم أفعل، سأرسلها لك لعلها تساعدك في إجابة بعض أسئلتك في امتحان الحياة.

أرسلت إليه المقالات، وكان رد فعله تجاهها مشجعًا للغاية على إصدارها ككتاب. وكعادته لم يكن رده بالكلام فقط بل بالعمل أيضًا إذ أعادها إليَّ بعد أن أعاد كتابتها وإعدادها للنشر ككتاب بحرفية عالية للغاية.

تشجعت وقررت إصدار الكتاب، لكن شيء من عاداتي غير الحميدة منها عدم رضاي عن ما أكتب جعلني أراجع وأعيد بعض المقاطع وألغي بعض الأجزاء، مع شيء من الإحباط بسبب عدم احترام حقوق النشر في الأوساط المسيحية في بلادنا جعلاني أتقاعس ثانية عن إصدار الكتاب. أفسدت ما فعله هاني ولم أصدر الكتاب. لا تزال إلى الآن ابتسامته الوديعة الحانية قابعة في ذاكرتي وهو دائمًا يسألني متى ستصدر الكتاب؟

رحل البطل الثالث فجأة دون أن يكون لي نصيب المشاركة في وداعه لوجودي خارج البلاد، بكيته عن بعد وحيدًا في غرفتي دون أن يكون حولي مَنْ يعرفه أشاركه بما في قلبي عن هاني لكي أتخفف من ألم الفراق. لكن بكائي وحيدًا خلق فيَّ عزمًا شديدًا على إصدار الكتاب وفاءً للثلاثة أبطال، وتلبية لرغبة هاني بالذات.

ها أنا الآن أصدره راضيًا رغم ضعفه،

لكن ليس بدون دمعة في عيني.

coptic-books.blogspot.com

إهداء

إلى عائلة صديقي الحبيب هاني رفعت
الذي كثيرًا ما التقاني ودمعة في عينيه،
ورحل تاركًا دمعة في عيني حتى ألتقيه.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

صورة الغلاف

هذه الصورة اخترتها لأنها تحكي الكثير عن أبطالي الثلاثة المتألمين

لقد هبت على كل منهم عاصفة هوجاء عمياء خيبت آمالهم وجعلت مناخ وجودهم رماديًا ضبابيًا كخلفية هذه الصورة. لقد شاركني الثلاثة قبل رحيلهم بشهور قليلة بآمال كثيرة لهم لم تتحقق.

لقد كسرتهم العاصفة رغم ضخامة وصلابة بنيانهم النفسي، لقد كان الثلاثة ذوي شخصيات جبارة، قادرين دائمًا على النجاح والتحدي، لقد عاشوا مكسورين رغم عظمتهم كهذا الجذع المكسور.

لكن،

هذه اللوحة الطبيعية جدًا تصف إبداع الخالق في حياتنا الروحية الطبيعية جدًا والذي يختلف كل الاختلاف عن اللوحات الاصطناعية التي يتخيلها ويرسمها المتروحنين عن حياة روحية تخلو من العواصف، وغير قابلة للكسر، ولا تتضرس أسنانها بتراب الموت.

هنا **عظمة الخالق وعظمة الحياة الروحية الطبيعية**، حيث تمتزج رمادية الضباب القاتمة بخضرة الحياة المبهجة!

هنا **روعة الشموخ والانكسار**، حيث يمتزج انكسار الجذع القوي الكبير بثبات وشموخ الطائر الضعيف الصغير!

هنا **روعة سلطان الخالق** على عشوائية الظروف أو ما يسمى عبثية الأقدار،

coptic-books.blogspot.com

حيث امتزجت عشوائية الكسر في الجذع بلا أدنى نظام مع إتقان خطوط ريش الطائر وروعة الألوان!

هنا تقر وتعترف اللوحة بهبوب العاصفة، ومرارة الكسر، ولم تسقط في جهل الإنكار.

لكنها مع هذا، تنبض بالحياة، تفيض بالهدوء، وتشع بالجمال.

الشيء الوحيد الذي غاب تمامًا عن اللوحة رغم الكسر والغيم والموت هو **القبح**

والشيء الوحيد الحاضر بإفراط في هذه اللوحة رغم الكسر والغيم والموت هو **الجمال**

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأول

الألم والفطام

«بَلْ هَدَّأْتُ وَسَكَّتُّ نَفْسِي كَفَطِيمٍ نَحْوَ أُمِّهِ.
نَفْسِي نَحْوِي كَفَطِيمٍ»

(مزمور ١٣١: ٢)

من تدرب كثيرًا على أن يقول لنفسه "لا" أمام رغباتها المشروعة لعدم توافرها، سيسهل عليه أن يقول لنفسه "لا" أمام رغباتها غير المشروعة رغم توافرها.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

◄ عزيزي يوسف: كم أشكر الله لأجل عمل نعمته فيك، ولأجل قدرته الإلهية التي عضدتك هكذا بالصبر في تجربتك القاسية، فكلما أراك هكذا راضيًا شاكرًا امتلأ قلبي فرحًا.

◅ أشكرك على تشجيعك لي، لكنني، في الواقع، أرى نفسي دون هذا المستوى جدًا، فأنا كثيرًا ما أنحني تحت ثقل التجربة بل صدقني أحيانًا أكاد أخور تمامًا تحتها وأفشل.

◄ أن تنحني يا عزيزي، هذا ليس بغريب، فما أضعف أوانينا الخزفية التي فيها انحنى حتى أعظم القديسين. أما أن تخور أو تفشل فهذا لن يحدث لأن الرب عاضد كل الساقطين ومقوّم كل المنحنين (مزمور١٤٥: ١٤)، كما أن انحناءك هذا تحت ثقل التجربة لا يقلل إطلاقًا من عظمة عمل نعمة الله الذي أراه فيك.

◅ ألا أخبرتني ما هذا الذي تراه فيَّ حتى تتشجع نفسي؟

◄ إني – بدون مُجاملة – أرى فيك ما رأيته من قبل في يوسف (سَميِّك) هذا الشاب التقي، إذ أنه بروعة وسمو عظيم **قَبِل كل ما تعرض له من إخوته:**

دون تذمر على الله أو مرارة من جهة الناس،

فقد دخلت في الحديد نفسه

رغم ليونة عوده الغض،

وآذوا بالقيد رجليه

تلك اللتان سعتا تاعبتين في البحث عنهم لخيرهم،

وبيع يوسف عبدًا

ذاك الذي كان في بيت أبيه أميرًا،

هذا كله بالإضافة إلى

حرمانه من أمه المحبوبة الجميلة

وهو بعد طفل صغير في أشد الاحتياج إليها!!

coptic-books.blogspot.com

وهذه الكوارث المرعبة كانت كافية لإنتاج شخصًا

عدوانيًا ناقمًا،

متذمرًا قاسيًا،

بل وعنيدًا عنيفًا.

لكننا على العكس تمامًا من كل هذا نراه في تكوين ٣٩ في ثوب العبيد الخشن:

خادمًا بكل محبة وتفانٍ وإخلاص لسيده،

قابلاً وضعه الجديد الغريب على شخصيته ونفسيته دون تذمر أو ضجر.

بل قبل وضعه الجديد كعبد وكأنه وُلد عبدًا!!

بل وكأنه لم يعش طوال عمره سوى عبدًا بين العبيد!!

بينما هو الذي منذ ولادته يعيش كالأمير!!

وإني أتخيله متغلبًا على آلامه هذه هكذا:

☜ **فعندما يستشعر الحنين الشديد لعطف أبيه يقول لنفسه:**
اسكتي يا نفسي. فطالما أراد الله لك الحرمان من العطف فليكن.

☜ **وعندما يرغب في الراحة من عناء التعب ولا يجدها يقول لنفسه:**
اسكتي يا نفسي. فطالما أراد الله لك التعب فليكن.

☜ **وعندما يستشعر الرغبة في الاحترام والإكرام متذكرًا ما أعطاه الله من أحلام أو حتى القميص الملون بالمقابلة مع مهانة ثوب العبيد ولا يجد،**

فإنه أيضًا يسكتها قائلاً لها: اسكتي يا نفسي فطالما سمح الله لك بالذل والهوان فاقبلي، فذل وهوان وأنت في مشيئته خير لك ألف مرة من المجد والإكرام وأنت بعيدة عن مشيئته.

coptic-books.blogspot.com

لقد كانت نفسه نحوه كفطيم لكنه تدرب كيف يهدئها، بل ويسكتها طبقًا لقول الكتاب:

«يَا رَبُّ، لَمْ يَرْتَفِعْ قَلْبِي، وَلَمْ تَسْتَعْلِ عَيْنَايَ، وَلَمْ أَسْلُكْ فِي الْعَظَائِمِ، وَلاَ فِي عَجَائِبَ فَوْقِي. بَلْ هَدَّأْتُ وَسَكَّتُّ نَفْسِي كَفَطِيمٍ نَحْوَ أُمِّهِ. نَفْسِي نَحْوِي كَفَطِيمٍ».

(مزمور ١٣١: ١و٢)

كل هذا دون مرارة أو ضجر ..

أ فليست هذه روعة تخلب الألباب؟

◁ هل تقصد أن يوسف في هذه التجربة لم يكن يتوجع أو يشعر بآلام التجربة؟

◀ كلا يا عزيزي، بل إنني أؤكد لك أنه ليس فقط كان يتوجع بشدة، بل إن الله نفسه كان يريده أن يتوجع وإلا ما كان سمح له بالتجربة من البداية.

◁ هذا منطق غريب عليّ بعض الشيء، لأنني أحيانًا أشعر أن إخوتي المؤمنين ينظرون للتوجع من التجربة على أنه دليل ضعف أو عدم رقي المستوى الروحي، فكيف تقول إن الله كان يريده أن يتوجع؟

◀ لا يا عزيزي.. لا يمكن أن يكون الأمر هكذا، بل إنني أعتقد أن عدم التوجع من التجربة:

هو نوع من اللامبالاة،

أو هروب من الواقع،

بل وربما يكون احتقارًا لتأديب الرب،

وليس دليلاً على الرقي الروحي،

coptic-books.blogspot.com

لكن أرجو أن يكون واضحًا لديك الفرق الكبير بين التوجع والتذمر:

فالتوجع والذي هو الشعور بالألم نتيجة التجربة ما هو إلا رد فعل طبيعي بل ومطلوب لأن الله يقصده،

أما **التذمر** فهو رفض للتجربة من الأساس، بل وإدانة لله الذي سمح بها.

◁ وماذا يقصد الله من خلال توجعنا؟

◀ اسمع يا عزيزي: إن النفس البشرية وقد تلوثت بسكنى الخطية فيها، صارت:

كالهاوية والرحم العقيم،
والأرض التي لا تشبع ماء
والنار التي لا تقول كفى (أمثال ٣٠: ١٦).

والمؤمن على الرغم من نواله **الطبيعة الجديدة** برغباتها المقدسة لازالت فيه **الطبيعة القديمة** بكل تمردها وعدم خضوعها لناموس الله، وهي تثير النفس وتعمق فيها رغباتها،

لذلك:

فالرب في حكمته يستخدم الآلام والأوجاع في حياة المؤمن ليروض النفس فيجعلها غير مدللة خاضعة لصاحبها لا تتحكم فيه بل يكون هو قادرًا على إنكارها. وهكذا يكون مستعدًا للانتصار على الخطية ويرفضها عندما تأتيه أو تلحّ عليه. وبالتالي يصبح للوجع أو الألم الذي تسببه التجربة دورًا كبيرًا في حياة القداسة العملية التي نشتاق إليها جميعًا.

◁ هل تعطيني مزيدًا من الإيضاح ؟

◀ إن الآلام النفسية يا عزيزي التي نتعرض لها أثناء تجاربنا المختلفة هي من وجهة معينة عبارة عن حرمان للنفس من شيء يسعدها ويريحها، أي إنها عملية

coptic-books.blogspot.com

فطام، وهذه الأشياء، التي تُحرَم النفس منها بسبب التجربة، هي غالبًا احتياجات مشروعة:

كالحب والحنان والتقدير

والإكرام والنجاح والراحة

والأمان والاحترام والانتماء

إلى آخر هذه الاحتياجات الشرعية.

وقبولنا للحرمان من هذه الأشياء

وتدربنا على العيشة بدونها

قانعين بما قسمه الرب لنا

مثلما فعل **يوسف** مع ظروفه في بيت فوطيفار،

وبولس في سجنه في فيلبي (فيلبي ٤: ١١-١٣)

يجعل النفس صلبة ويُدربها على احتمال المُعاناة **يجعلها كالنخلة**

تزهو بأقل قدر من المياه

وفي مواجهة أعتى الظروف،

وهكذا عندما تُعرض عليها الخطية ستعرف كيف تقول لا.

◁ هل تعني أن قبول يوسف لتجربته المُرَّة وتعايشه معها هما اللذان جعلاه ينتصر على الخطية في تكوين ٣٩؟

◀ بالطبع أعني هذا، وإن كنت أرى أنه ليس هو السبب الوحيد لنجاحه، لكنني أراه أحد أهم عوامل نُصرته، فمَنْ تدرب كثيرًا على أن يقول لنفسه "لا" أمام رغباتها المشروعة لعدم توافرها،

وهذا هو الحرمان،

سيسهل عليه أن يقول لنفسه "لا" أمام رغباتها غير المشروعة رغم توافرها،

وهذه هي القداسة.

coptic-books.blogspot.com

◁ هل ترى أن هذا هو معنى كلام الرسول في (١بطرس ٤:١) «فإن من تألم في الجسد، كُف عن الخطية»؟

◀ نعم. فهناك بلا شك علاقة وثيقة بين **الألم والكف عن الخطية** طبقًا لهذه الآية سواء كان بالمعنى الذي شرحناه أو بمعنى آخر هو أن: مَنْ يمتنع عن الخطية يتألم في الجسد.

◁ هذا يريح نفس المتألم ويشجعها على تحمل الآلام. لكني أود أن أعرف كيف أتعامل مع الوجع الناتج عن التجربة التي أنا فيها والذي أستشعره بعمق في نفسي؟

◀ هذا سؤال في غاية الأهمية يا عزيزي لأن الوجع في حد ذاته لن يُنتج هذه النتيجة الرائعة التي أشرنا إليها، لكن بالحري طريقة التعامل مع الوجع، **والذي ألخصه لك في بضعة نقاط:**

أولاً: لا تحتقر تاديب الرب ولا تخُر:

«يا ابني، لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخُر إذا وبخك»

(عبرانيين ١٢:٥)

الأمر الأول الذي تحتاجه كمؤمن هو أن **لا تحتقر تأديب الرب**، مع ملاحظة أن التأديب هنا هو التعليم والتربية الصحيحة وليس العقاب أو القضاء، بمعنى أن لا تتعامل مع تجربتك وأوجاعك بلامبالاة مهما كان حجمها صغير، ومهما كانت قوة شخصيتك، فلا تحاول، على سبيل المثال، الهروب من الشعور بالوجع بالانهماك في العمل أو التسليات العالمية.

لكن من الجانب الآخر عليك أن لا تتطرف إلى الناحية الأخرى **فتخور تحت ثقل التجربة**، هذا الخوار الذي ينتج من الاستغراق التام في التفكير في تجربتك فتخسر شركتك مع الرب وتنزلق إلى هوة الرثاء للنفس فتكتئب وتيأس وتكف حتى عن الصلاة.

coptic-books.blogspot.com

ثانيًا: ألق كل همك عليه:

«فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه،
ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم»
(١بطرس ٥: ٦و٧).

«أعلى أحد بينكم مشقات؟ فليُصلِّ»
(يعقوب ٥: ١٣).

عليك أن تدخل إلى عرش النعمة وهناك ألق حملك وهمك على الرب وثق أنه يهتم. فكما قال واحد:

"كل ما ينشئ عندنا همًا، يصنع عنده اهتمامًا"،

لكن احرص على أن تمارس هذا **بإيمان**، بمعنى أن لا تخرج من عرش النعمة وأنت لازلت حاملاً همومك، بل اعمل كحنة التي يقول عنها الكتاب بعد أن سكبت نفسها وشكواها أمام الرب: «ثم مضت المرأة في طريقها وأكلت، ولم يكن وجهها بعد مغيرًا» (١صموئيل ١: ١٨)، ولاحظ أيضًا أني لا أقصد أن تلق أوجاعك لكن **همومك، فالصلاة لن تزيل الوجع لكنها قادرة على إزالة الهم.**

◁ وما الفرق بين الوجع والهم؟

◀ **الوجع** هو الألم الناتج عن التجربة والذي يتناسب مع حجمها ومع شخصية المتألم، وهو كما ذكرت من قبل حتمي بل ومطلوب لأن به يعمل الله فينا الكثير.

لكن **الهم** هو استرسال الفكر في توقع واستنتاج ما قد يترتب على هذه التجربة، أي نتائج التجربة ماديًا أو نفسيًا أو اجتماعيًا. وغالبًا ما تكون هذه الاستنتاجات غير صحيحة أو مُبالَغ فيها، وحتى إن افترضنا أن بعضها منطقي وقد يحدث، فإن صاحبها يعيشها في خياله بدون النعمة والرحمة واللتان هما العون الذي سيعطيه الرب له في حينه، هذا إن سمح بحدوث هذه النتائج من الأصل. هذه الاستنتاجات تملأ النفس بالمخاوف والهم وكلاهما لا يليقان بالمؤمن.

coptic-books.blogspot.com

ثالثًا: حاول أن تفهم:

«إن كان يجب تُحزَنون يسيرًا بتجارب متنوعة»
(١بطرس ١: ٦)

«احسبوه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة»
(يعقوب ١: ٢)

اسأل الرب عن قصده من وراء الوجع، قل للرب: **"أنت يا سيدي لا تسمح بالوجع لي عبثًا، بل يقينًا لك قصد صالح من نحوي ترى أنه لن يتحقق فيَّ بدون هذه التجربة، ففهمني ماذا تريد أن تغير فيَّ أيها الفخاري الأعظم"**.

ولاحظ أن الكتاب يقول: «إن كان يجب» وهي في اليونانية وكذلك في الإنجليزية تعني: «إن كان هناك احتياج لها» أي أنه حاشا للرب أن يسمح بالألم لنا إن لم تكن هناك ثمة احتياج له!

وقد تقول: **وهل نحتاج للألم؟**

أقول لك: **نعم صدقني، نحتاج إليه احتياجنا للماء والهواء!** ولذلك اسأل الرب وحاول أن تفهم ماهية هذا الاحتياج عندك والذي استلزم هذا الألم.

وعندما يحقق الرب قصده من وراء الألم سنكتشف الخير الروحي الذي تحقق فنفرح، ولذلك ينبغي أن نحسب وصول التجربة إلينا فرحًا حتى قبل أن نرى نتائجها، بناء على يقيننا أنها كانت لسد احتياج عندنا!

رابعًا: اطلب قوة لتحتمل:

في (كولوسي ١: ١١) يصلي الرسول لأجل إخوته طالبًا هذه الطلبة:

«متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده،
لكل صبر وطول أناة بفرحٍ».

لاحظ معي في هذه العبارة أن الرسول هنا يطلب من الرب لأجل إخوته **كل**

coptic-books.blogspot.com

قوة لكي يحتملوا بصبر وطول أناة! وكم هو رائع هذا الفكر، لكنه، للأسف، غائب عن كثيرين من المؤمنين.

فكثير من المؤمنين يظنون أن مجال استعراض قوة الله في حياة أولاده هو عمل المعجزات، أو القيام بخدمات بطولية، بينما الكتاب هنا يُعلمنا أن:

قوة الله، بل كل قوة، تظهر في المؤمن الذي يحتمل بصبر وطول أناة تجربته وأوجاعه.

وفي الواقع أنا شخصيًا أستشعر حضور الله وأرى قدرته العظيمة عندما أرى مؤمنًا صابرًا وشاكرًا على الرغم من كونه يجتاز في تجربة شديدة، أكثر جدًا مما أراها في أعظم الخدمات حتى المتميز والبطولي منها.

فهذه **القوة على الاحتمال والشكر بفرح لا تأتي إلا من الله** بينما قد تكون القوة التي تظهر في المعجزات أو بعض الخدمات مصدرها إنساني أو حتى أحيانًا شيطاني!

كما أن هذا الفكر غائب أيضًا عن البعض الآخر الذي يرى أن الصلاة الوحيدة الصحيحة أثناء التجربة هي طلب الرب لكي يرفعها ويزيلها، وليس طلب القوة لاحتمالها.

كما أرجو أن تلاحظ أيضًا أن الرسول لا يطلب لهم هنا قوة معينة، بل كل قوة. وأعتقد أنه هنا لا يطلب كمية قوة، بل **نوعيات مختلفة من القوة**. ذلك لأن

كل تجربة تختلف عن غيرها من التجارب في نوعية القوة التي تمكن صاحبها من الاحتمال بصبر وطول أناة. والرب في جوده وإحسانه قد سبق وذخر للمجربين المتألمين كل أنواع القوة.

coptic-books.blogspot.com

أما **حجم القوة** التي يمكن للرب أن يعطيها للمؤمن في تجربته فواضح من العبارة التالية إذ يقول:

«بحسب قدرة مجده»!! ولا تنسى أن قدرة مجده هذه التي يتكلم عنها هنا لتعين المؤمن على الاحتمال هي نفسها التي أقامت ربنا يسوع من الأموات بحسب (أفسس ١: ١٩).

وأخيرًا لاحظ أن المؤمن الذي يختبر هذه القوة يصبح بها ليس فقط قادرًا على الاحتمال بصبر وطول أناة بل الأعجب يقول الرسول: **«بفرحٍ»**! فيالها من قوة!!

إذًا هذه العبارة توضح لنا أن

المؤمن المتألم، عليه أن يلجأ للرب ليستمد منه كل أنواع القوة التي يحتاجها كيانه الهش الضعيف،

وعليه أن يثق أن كل هذه القوى متوفرة ومخزونة لحسابه ليسحب من رصيدها كما يريد، وهي قوة على قياس قدرة مجد الله، وعندما **يأخذ** كفايته منها **سيمتلئ** بالصبر وطول الأناة أي القوة على **الصمود أمام الألم**، إلا أنه عندما يزداد تدفق هذه القوة في كيانه فهي من غزارتها تفيض فتكفي ليس فقط للصبر وطول الأناة بل يتحول فائض القوة فيه إلى فرح!

خامسًا: اطلب حكمة للتصرف الصحيح:

«وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يُعَيِّر، فسيُعطى له»
(يعقوب ١: ٥)

ما أكثر وما أخطر القرارات التي نجبر على اتخاذها وقت التجربة! ونحن كثيرًا ما نترنح تحت ثقل التجربة فتنحرف خطواتنا عن الطريق المستقيم ونخطئ الهدف المنشود ونتخذ القرار الخاطئ. وكم نشعر عندئذ بالاحتياج **للحكمة** لكي

coptic-books.blogspot.com

نتكلم الكلام الصحيح ونتخذ القرار الصحيح ونتصرف التصرف الصحيح. وها هو الكتاب يشجعنا على طلبها بوعد ما أعظمه، إذ يؤكد لنا أن الله

يعطيها لمن يسألها،

ويعطيها بسخاء،

بل **يعطيها ولا يعير من يطلبها** لعدم وجودها عنده،

إذ أن الله لا يفترض أصلاً أننا نمتلكها!!

◁ هل يمكن أن تفسر لي لماذا لم ينجح داود أمام نفس الخطية التي نجح أمامها يوسف مع أنه تعرض لقدر ليس بقليل من الآلام؟

◀ هناك عوامل مختلفة أدت إلى هزيمته منها، على سبيل المثال، أن:

التجربة أتته في يوم راحته

على عكس يوسف الذي

جاءته في يوم آلامه.

وكثيرًا ما يحّل المؤمن منطقته ويلقي بسلاحه في يوم الراحة على عكس يوم الألم والضيق الذي فيه يكون المؤمن قريبًا من الرب متسلحًا بسلاحه الكامل.

لكنني في الحقيقة أرى سببًا آخر أهم من هذا وهو ما أشرت إليه في إجابتي عن سؤالك السابق، وهو أنه

ليس المهم التعرُّض للألم في حد ذاته بل طريقة التعامل مع الألم

وأعتقد أنه بمقارنة تاريخ كل من **داود ويوسف**، لن يصعب عليك اكتشاف الفارق بينهما، وهو أنه بينما:

خضع يوسف

محتملاً كل الأوجاع بقلب راض وشاكر

مستمدًا كل قوة من الله

سائلاً الحكمة منه دائمًا،

coptic-books.blogspot.com

ترى أن **داود** لم ينجح في التصالح مع آلامه بل حاول الهروب:

بالاستناد على يوناثان مرة ومرات،

وبالهروب إلى أرض الأعداء أكثر من مرة،

وحاول الانتقام لنفسه من نابال،

وبالزواج مرة ومرات،

حتى إنه في يوم من الأيام حمل السلاح ضد شعب الله، هذه المحاولات أضعفت تدريبه فلم تصبح نفسه قادرة على القول "**لا**" للخطية، أي لم يكن للصبر فيه عمل تام، فلم يصبح تامًا وكاملاً غير ناقص في شيء (يعقوب ١: ٤).

◁ هل من الممكن أن يكون إغراء الخطية أقوى من تدريب المؤمن حتى وإن أحسن التعامل مع آلامه قبل التعرض للخطية؟

◀ ليس من الممكن على الإطلاق، إذ أن الرب وعد أنه بسبب أمانته معنا لن يدعنا نتعرَّض لتجربة أقوى من تدريباتنا، بل ويعطينا مع كل تجربة منفذًا لكي نستطيع أن نحتمل ونقاوم وننتصر، اقرأ (١كورنثوس ١٠: ١٣):

«لم تُصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين، الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضًا المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا».

◁ لقد بدأت الآن أغيرّ نظرتي لتجربتي

لأشكر أكثر

وأقبلها أكثر

طالما أنها تجعلني **أكف عن الخطية**،

coptic-books.blogspot.com

إنني أراها الآن كمركز تدريب أدخلني الله فيه لفترة محدودة لأتعلم

فطام النفس

وكيف أروّضها

لأخضعها لمشيئة الله الصالحة المرضية

ولا أكون أسيرًا لأهوائها.

◄ يباركك الرب وليبارك عقلك وفهمك فهذا هو كل ما أتمناه لك.

◁ بقي لي سؤال أخير.. إن كان هذا هو قصد الله من آلام يوسف وها هو قد نجح نجاحًا عظيمًا أمام الخطية فماذا كان الداعي لمزيد من الآلام بعد هذا النجاح؟ هل كانت هناك أغراض أخرى لهذه الآلام؟

◄ هذا يحتاج للقاء آخر.

فإلى اللقاء.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

الألم والاستخدام

«وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ، عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً»

(رومية ٥: ٣و٤)

إن أسمى شيء يستحق أن تنفق حياتك القصيرة على الأرض لأجله هو أن تخدم الرب. فأن يستخدمك الله وأن تكون خادمًا للرب، هذا شيء يقصر أي قلم عن وصف عظمته وسموه.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

"إن النفس التي عانت كثيرًا من الحرمان وتدربت على أن تقول:
لا لرغباتها المشروعة لعدم توافرها،
ستعرف جيدًا كيف تقول:
لا لرغباتها غير المشروعة رغم توافرها،
فتعيش عندئذ حياة القداسة العملية".

كانت هذه الفكرة هي خلاصة حواري السابق مع صديقي المتألم، عندما كنا نتحدث عن يوسف وآلامه وقبوله الرائع للحرمان من أشياء كثيرة، وكيف قاده هذا للانتصار الرائع على الخطية، مُختبرًا القول الإلهي:

«إن من تألم في الجسد، كُف عن الخطية»
(١بطرس ٤: ١).

وقد انتهى حوارنا السابق بسؤال سأله صديقي هو:

◁ ما دامت الآلام الناتجة عن كل ما تعرض له من بغضة وحسد وقسوة وبيع وحرمان من كل شيء في (تكوين ٣٧) قد عملت عملها العظيم في نفس يوسف، وأنجزت القصد الذي أراده الله من وراء السماح بها، فماذا كان الداعي لمزيد من الآلام بعد نُصرته الرائعة على الخطية في (تكوين٣٩)؟ هل كانت هناك بركة أخرى يريد الله أن يوصلها لعبده من خلال هذه الآلام؟ **فأجبته:**

◀ نعم يا عزيزي، فآلام المؤمن ليست شيئًا هينًا في نظر الله، فهو كأب مُحب عطوف في كل ضيقنا يتضايق، والرب يسوع رئيس الكهنة العظيم، كرجل أوجاع وخبير في الأحزان، يعرف جيدًا قسوة الألم بالنسبة لشعبه، لذلك

> حاشا لله أن يتركنا للآلام دون أن تكون هناك بركة عظيمة يريد أن يصل بنا إليها، وليس هناك طريقًا آخر للوصول إليها سوى الآلام.

coptic-books.blogspot.com

◁ وماذا يا ترى كانت تلك البركة الأخرى التي أراد الله أن يصل بعبده يوسف إليها من خلال المزيد من الآلام؟

◀ إذا أردت الإجابة المختصرة في كلمة واحدة فإني أقول هي «**الاستخدام**». فهل تظن أن الرب سمح ليوسف بكل هذه الآلام؛ فقط لكي ينتصر على الخطية؟

بالطبع كلا، فمسألة الخطية والنصرة عليها جاءت في الطريق، **لكن** كان هناك مخطط إلهي عظيم من نحو يوسف يستلزم أن تكون ليوسف شخصية معينة ذات خطوط وملامح محددة، كان الرب يريد أن يستخدمه استخدامًا عظيمًا لاستبقاء حياة شعوب وهو في الثلاثين من عمره،

وما كان ممكنًا أن شابًا في الثلاثين من عمره يصلح لهذا العمل العظيم دون الضيق الذي يقول عنه الرسول ينشئ صبرًا والصبر ينشئ تزكية، وكلمة التزكية هنا تترجم في بعض الترجمات "شخصية محددة" "character" أي:

ما كان ممكنًا أن يتحلى يوسف بهذه الشخصية،

القادرة على إتمام هذه المهمة الرائعة،

دون سبق إعداد وتأهيل في مدرسة الألم.

كما كان هناك أيضًا غرضًا أسمى ألا وهو:

أن تصبح حياة يوسف بآلامها وأمجادها مجالاً لاستعراض لمحات متعددة من حياة المسيح الذي سيأتي بعد مئات السنين،

وعليه فقد صار **يوسف** بآلامه هذه وما أنتجته فيه من **أقوى الرموز في كل الكتاب للمسيح**.

وأعتقد يا عزيزي

أن أسمى شيء

يستحق أن تُنفق حياتنا القصيرة على الأرض لأجله

هو أن نخدم الرب.

coptic-books.blogspot.com

وأن أجمل خُلاصة

تصف حياة قديس بعد رحيله

هي أنه كان نافعًا للسيد.

وأن أزكى رائحة

تنبعث من حياة إنسان على الأرض

هي رائحة المسيح.

◁ نعم أوافقك تمامًا على هذا، لكن هل ترى أن الآلام حتمية لكي تتحقق هذه الأشياء الرائعة فينا؟

◀ بصفة عامة لا يمكنني الجزم والقطع النهائي في كثير من الأمور فلا يزال أمامنا الكثير جدًا الذي نحتاج أن نختبره ونتعلمه، لكنني أكاد أقول إنها قاعدة شبه عامة.

> فمعظم الرجال الذين استخدمهم الله استخدامًا مباركًا على مرّ العصور كانوا جميعًا خريجي مدرسة الألم، أو بالحري قُل خريجي مدرسة الله شُعبة ألم.

◁ مع تقديري الكبير لهذه البركة، والتي كنت أصلي كثيرًا للرب لأجلها، وأنا شخصيًا لا مانع عندي بالمرة لتحمل الآلام بشكر طالما أن هناك استخدامًا؛ لكن ألا ترى معي أن هذا الفكر قد لا يروق لكثيرين من أحبائنا المؤمنين في هذه الأيام؛ إذ أنهم سيستكثرون الآلام في مقابل الاستخدام؟

◀ اسمع يا عزيزي:

أن يستخدمك الله وأن تكون خادمًا للرب،

هذا شيء يقصر أي قلم عن وصف عظمته وسموه،

بشرط أن يكون مفهومنا للخدمة مفهومًا صحيحًا.

coptic-books.blogspot.com

فأن تكون الخدمة مصدرًا للرزق،

أو عبارة عن تسلية في وقت الفراغ،

أو ممارسة لهواية طبيعية من الهوايات،

أو حتى إذا كانت مجهودات جبارة لإنجاح كنائس وطوائف وجماعات،

هذه كلها يا عزيزي ليست الخدمة التي نتكلم عنها، وفي هذه جميعها يبحث أصحابها عن **الربح [المادي أو الأدبي] والمتعة وتحقيق الذات**، وبالتالي لا تستحق في نظرهم إطلاقًا ولا يتوافق معها أبدًا فكرة حتمية الآلام إذ أنها ليست من الأصل استخدامًا من الله.

لكن الخدمة التي بحسب فكر الله - على قدر فهمي لها - هي:

أن تكون رجلاً قريبًا من قلب الرب وفكره، تقف في مجلسه وتستمع إلى كلامه، ثم تخرج برفقته لتعمل مشيئته،

أن تكون رجلاً تفرح قلب الرب بطاعتك له، وتسعد أنت بإنجاز ما يأمرك به، أو ما يرسلك إليه.

إن فعلنا هذا سنشعر بقيمة الحياة وسندرك فعلاً أنها تستحق أن تُعاش، طالما أنها منحتنا الفرصة أن نكون خدامًا لإلهنا، وأن تظهر فينا ولو لمحة ضئيلة من حياة سيدنا.

لقد قرأت كثيرًا يا عزيزي عن

أغنياء جمعوا المليارات،

وعلماء وفلاسفة وصلوا لأعظم الاكتشافات،

وقادة حققوا أكبر الإنجازات،

coptic-books.blogspot.com

إلا أن معظمهم أقر في نهاية حياته بشعوره بالفراغ والضياع وبأنه لا قيمة لكل ما فعل.

رغم أنهم **انتفخوا** يومًا بما حققوه،

وتفاخروا بما أنجزوه!!

عبر عن شعورهم هذا واحد من أشهرهم هو "جان بول سارتر" إذ قال وهو يموت:

"أنا فقاعة فارغة على شاطئ محيط الحياة".

وما أبعد الفارق بين هؤلاء وبين شعور أحد خدام الله يوم دق له ناقوس الرحيل إذ يقول:

«إني أنا الآن أُسكَبُ سكيبًا، ووقت انحلالي قد حضر، قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرًا قد وُضِع لي إكليل البر، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديّان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضًا»

(٢تيموثاوس ٤: ٦-٨).

نعم ما أحلاها مشاعر، تلك التي رحل بها بولس عن الأرض. وما أعظمه استثمارًا هذا الذي استثمر به حياته.

"إن حياتنا على الأرض قصيرة للغاية فهي ليست سوى نفخة أو بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل،

لذلك إن

استثمرتها رغم قصرها لتنفع نفسك

فهذا بلا شك حسن،

ولكن إن استثمرتها لتنفع الآخرين أيضًا

فهذا أحسن،

coptic-books.blogspot.com

لكن أن تصل باستثماراتك لحياتك القصيرة هذه لأن

يتم فيك قول الكتاب «**نافعًا للسيد**»

فهذا ما يقصر عن وصفه أي كلام.

هذه هي غاية الوجود بل هذا هو الوجود فعلاً."

فهل بعد هذا يا عزيزي نستكثر الآلام كإعداد وتهيئة للاستخدام؟

◁ بكل تأكيد لا، إني لا أستكثرها أبدًا، بل على العكس، صدقني إني أعتبر أن آلامي شيئًا زهيدًا أمام هذا الشرف العظيم أن يستخدمني الرب ويجعلني أعيش هذه الحياة القصيرة لخدمته وتمجيد اسمه. لكن ألا ترى معي أن هذا الفكر من الممكن أن يخيف بعض المؤمنين من الخدمة؟

◀ دعني أجيبك عن سؤالك هذا في نقاط ثلاث:

أولاً: محبة الرب لي

ألا ترى معي يا عزيزي أننا فقراء جدًا في إدراك عُمق حُبه لنا. نعم،

كم نحتاج أن ننهل من هذا النبع الذي لا ينضب،

بل ونسبح في هذا اليم الذي لا يُعبر.

كم نحتاج أن نغوص عميقًا لندرك شيئًا عن أعماق هذه المحبة،

وكم نحتاج أن نحلق عاليًا لنرى شيئًا من سموها.

إنها محبة المسيح الفائقة المعرفة.

إنها إهانة بالغة لقلبه المُحب وصلاحه غير المحدود أن نخاف على أنفسنا ونحن في طريق خدمته، بل إني أتعجب من هذا الفكر!

فكيف أخاف على نفسي

وأنا أراها بين يدي هذا المُحب

الذي بذل نفسه على الصليب لأجلها،

والآن هو حي في السماء لأجلها.

coptic-books.blogspot.com

إني أرى نفسي الآن بين يدي هذا الجالس على عرش الله وكل شيء مُخضع تحت قدميه، وأتساءل متعجبًا:

كيف يمكن أن يخرج شيء ما من تحت قدميه ليؤذي ما بين يديه؟!

نعم إن «المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج»

(١يوحنا ٤: ١٨).

ثانيًا: محبتي أنا للرب

كلما **تعمقت** في إدراك محبته لي،

سأحبه أنا أكثر.

وكلما **أرى** من جديد كيف قادته محبته لبذل نفسه لأجلي،

سأمضي قدمًا في طريق بذل نفسي لأجله،

وعندئذ لن يكون هناك خوف من الآلام،

لا قبل الاستخدام للتهيئة والإعداد،

ولا في طريق الخدمة في مواجهة الصعاب والمشقات.

لقد بدأ اختبار بولس من هذه النقطة البديعة:

«ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي».

وكانت النتيجة أن الآلام لم تُخِفْه بل والموت لم يُعِقْه. يقول لإخوته:

«الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً: إن وُثُقًا وشدائد تنتظرني. ولكنني لست أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله»

(أعمال ٢٠: ٢٣و٢٤).

coptic-books.blogspot.com

وعندما بكي الإخوة خوفًا عليه من الآلام في أورشليم، قال لهم:

«ماذا تفعلون؟ تبكون وتكسرون قلبي، لأني مستعد ليس أن أُربط فقط، بل أن أموت أيضًا في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع»

(أعمال ٢١: ١٣).

ثالثًا: أمانة الله وصلاحه

إن الرب يا عزيزي رحيمٌ جدًا بنا، بل هو كلي الصلاح من نحونا، والخوف من الآلام التي تأتينا من يديه لتجهزنا لخدمته، هو نوع من الشك في صلاحه وأمانته. فهو يعرف جبلتنا ويذكر أننا تراب نحن، لذلك

يعرف جيدًا طاقة احتمالنا،

وعندما يسمح بالآلام فهو يعرف أي نوع من الألم نحتاج. فالألم أنواع، فخذ مثلاً أنواع الآلام التي سمح بها لبولس:

- ضعفات (أمراض)
- شتائم (إهانات)
- ضرورات (احتياجات زمنية)
- اضطهادات (آلام جسدية كالجلْد والضرب والرجم،.....)
- ضيقات (ضغوط نفسية مختلفة الأنواع).

ويعرف أيضًا عُمق الاحتياج؛

هل لنوع واحد أم أكثر.

فقد أعطى لبولس خمسة أنواع، ثم أنه **يعرف** الجُرعة المناسبة من كل نوع، والمدة المضبوطة التي نحتاجها.

إني أقصد باختصار أن أقول أن **الله أبونا لا يتركنا نتألم كيفما اتفق، لكن كل شيء عنده بحساب.**

coptic-books.blogspot.com

ثم انظر ما أعظم هذا الذي أعطاه الرب لبولس أثناء الآلام. لقد أعطاه **نعمته**، وماذا فعلت النعمة فيه؟ لقد جعلته يُسّر بالخمسة أصناف من الآلام وكأنها هدايا جميلة لا بلايا ثقيلة.

◁ كيف يمكن أن يكون هذا؟

◀ دعني أوضح لك هذا بمثال:

لقد كنا نعطي بعض المرضى نفسيًا أدوية لعلاج أمراضهم، وكانت بالفعل تحقق نتائج جيدة. لكن للأسف كانت لها أعراض جانبية سخيفة للغاية. فماذا كنا نفعل؟ كنا نعطيهم أدوية أخرى ليس لها فائدة سوى علاج الأعراض الجانبية للأدوية الأولى.

وهكذا الطبيب العظيم، فهو يحسب لنا جُرعة الآلام اللازمة جدًا للاستخدام، وإذ يعرف أعراضها الجانبية وسخافة تأثيرها على جوانب كثيرة من الحياة، يُعطينا معها «**نعمته**» وهي **الدواء الفعال في علاج الآثار الجانبية للآلام**، لكن العجيب أن هذه النعمة الرائعة لا تزيل فقط مضاعفات الآلام بل تجعلنا أكثر قوة وفرحًا من حالتنا دون آلام!

دعني أقول يا عزيزي:

إن نفوسنا ليست أكثر غلاوة علينا من غلاوتها عليه،

فهو وحده الذي مات لأجلها.

ومن الغباء أن نظن أننا قادرون على حفظها، بل إننا بحماقة نهلكها إن أردنا أن نخلّصها، بل على العكس كما قال السيد إن أهلكناها لأجله فحينئذ فقط سنخلِّصها ونجدها (متى ١٦: ٢٥).

لذلك دعنا نستودعها بين يديه الحانيتين ولنتم هادئين.

«فإذًا، الذين يتألمون بحسب مشيئة الله، فليستودعوا أنفسهم، كما لخالق أمين، في عمل الخير»

(١بطرس ٤: ١٩).

coptic-books.blogspot.com

لكن بقي عندي شيء أخير أقوله لأحبائي الخائفين من الآلام لأجل الاستخدام:

- لماذا تنشدون الراحة وترفضون الاستخدام؟
- لماذا تفضّلون الرفاهية عن النفع والإثمار؟
- لماذا ترغبون أن تكونوا كموآب المستريح

«منذ صباه وهو مستقر على دردیه، ولم يفرَّغ من إناء إلى إناء... لذلك بقي طعمه فيه، ورائحته لم تتغير»

(إرميا ٤٨: ١١)؟

ثم

- ألم تتعبوا لتحصلوا على الشهادات؟
- أوَ لمْ تتألموا في العمل لأجل قوت الحياة؟
- أوَلاَ ترون الخطاة من حولكم يتألمون من أجل التفاهات؟

- فلماذا تخافون الآلام في مقابل بركة وشرف الاستخدام؟
- وما قيمة حياة عقيمة دون نفع أو إثمار؟

يا ليتكم **تخافون الآلام الناتجة عن فعل إرادتكم الذاتية،**

لكنتم عندئذ

تكفون عن فعل الخطية،

يا ليتكم **تخافون الآلام الناتجة عن محبة عالم غارق في الخطية،**

لكنتم عندئذ

تبغضون الشر أكثر،

coptic-books.blogspot.com

وتنفصلون عن العالم أكثر،

وتتنقى قلوبكم أكثر

لترحبوا بأية آلام تجهزكم للاستخدام.

◁ بقي لي سؤال أخير هو: كيف تجهزنا الآلام للاستخدام؟

◀ هذا حديث طويل يا عزيزي يحتاج للقاء آخر .

فإلى اللقاء.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثالث

مفهوم الاستخدام

«إنْ كانَ أحَدٌ يُجاهِدُ،
لا يُكلَّلُ إنْ لم يُجاهِدْ قانونيًّا»

(٢تيموثاوس ٢:٥)

الخدمة الحقيقية هي أن
تكون رجلاً قريبًا من قلب الرب وفكره،
وتُفرح قلبه بطاعتك له.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

بدأ صديقي المتألم يستكمل حديثه معي متسائلاً:

◁ لقد أكدت كثيرًا في حديثك السابق معي على أهمية الآلام كأحد الأدوات اللازمة التي يستعملها الله في تزكية وإعداد مَنْ يجهزهم للاستخدام، ولقد تعزى قلبي كثيرًا بحديثك وتشجعت على احتمال ما أجتاز فيه من آلام، إلا أني أود أن أفهم شيئًا عن الكيفية التي تعمل بها الآلام في نفس المتألم لتزكية شخصيته وجعلها مهيأة لاستخدام الله، ذلك لكي يقتنع عقلي أيضًا بضرورتها فتكون تعزيتي على أساس صحيح.

◀ لقد توقعت منك هذا السؤال وسأجيبك عليه – بنعمة الله – لكن اسمح لي أولاً أن أعرف منك:

ما هو مفهومك لكلمة الاستخدام؛ حيث أننا استعملناها كثيرًا، وسنستعملها أكثر في حديثنا وأخشى أن يكون مفهومها الصحيح غير واضح لديك؟

◁ أفهم أنه

عندما يعد الله إنسانًا مثل وليم كاري أو هدسون تايلور ثم يرسلهم لبلاد بعيدة ليحملوا بشارة الإنجيل لها،

أو أن يعد الله رجلاً مثل بللي جراهام ليكرز لملايين النفوس ببشارة الخلاص العظيم،

أو أن يعطي الله بعض الأشخاص مثل مارتن لوثر وجون داربي وغيرهم عقليات فذة ومواهب تعليمية جبارة لاكتشاف الحق الإلهي وتوصيله للمؤمنين،

أو حتى مجرد أن يقيم الله شخصًا ما ليقف في أحد الاجتماعات ليوّصل **للحاضرين رسالة صادقة من الله:**

تسدد احتياجات حقيقية عندهم،

وتغيّر من أفكارهم وطُرقهم،

وتجذبهم بشدة نحو المسيح،

أي ينطبق عليه قول الكتاب:

coptic-books.blogspot.com

«إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله.
وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله،
لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح»
(١بطرس ٤: ١١).

فإني أقول عن كل هؤلاء أنهم مستخدمون من الله.

◄ أوافقك تمامًا يا عزيزي على هذا، لكني أرى أن مفهومك لكلمة الاستخدام قد اقتصر على خدمة الكلمة فقط، بينما أنا أرى أن خدمة الكلمة، رغمًا عن كونها مجالاً من أهم المجالات التي نحتاج فيها للاستخدام من الله بل في الحقيقة لا يصلح معها غير هذا، إلا أنها مع هذا ليست هي المجال الوحيد الذي نحتاج فيه إلى شخص يمكننا أن نقول عنه أنه مستخدم من الله.

◅ هل تعطيني بعض الأمثلة؟

◄ ما رأيك في **الخدمة الراعوية**، ألا تشعر معي أننا نحتاج بشدة لمن له قلب الراعي، من يحب إخوته ويحنو عليهم ويحامي عنهم ويهتم بسلامتهم من كل وجه؟ تلك الخدمة التي كانت موضوع وصية الوداع من الرب لبطرس الرسول (يوحنا ٢١)؟ تلك الخدمة التي بحق تعكس قلب المسيح، بل والقادرة وحدها على وصف شخصه الكريم، فهو تبارك اسمه:

في حياته على الأرض عاش كالراعي:

«فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا، فَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا»
(مرقس ٦: ٣٤)،

وفي موته على الصليب مات كالراعي:

coptic-books.blogspot.com

«أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ»

(يوحنا ١٠: ١١)،

وفي مجده الآن على عرش أبيه هو كالراعي:

«وَإِلَهُ السَّلاَمِ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ، رَبَّنَا يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ، لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ»

(عبرانيين ١٣: ٢٠ و٢١)،

وعند ظهوره سيظهر كالراعي:

«وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى»

(١بطرس ٥: ٤)،

بل وحتى عندما يملك سيملك كالراعي:

«أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ»

(حزقيال ٣٤: ١٥و١٦)

تلك الخدمة التي نفتقدها بشدة في كنائسنا في هذه الأيام،

فبينما يتزاحم كثيرون على المنبر

يندر أن تجد من يطرق أبواب البيوت!

وبينما يتنافس المتنافسون في سرد المعلومات الكتابية على المنابر أو على صفحات المجلات والكتب،

يندر أن تجد مَنْ يحمل طعامًا أو تعليمًا أو توبيخًا أو تصحيحًا ويذهب به بالحب لمؤمن عثر أو سقط أو تعطل!

coptic-books.blogspot.com

وبينما يتوفر في الاجتماعات مَنْ يقومون
بدور الضابط (١صموئيل ٩:١٧)،

يندر أن تجد مَنْ يقوم بدور الأب الحنون أو الأم
الرؤوم! (١تسالونيكي ٢:٧،١١)،

والذي هو دور الراعي.

وما رأيك في الخدمة التدبيرية؛ أي تدبير أحوال شعب الله خاصة في الكنائس المحلية، ابتداءً من الاهتمام بالأحوال الروحية، ونهاية بأبسط الأمور التي تحتاج إليها النفوس الغالية على المسيح نظير المقاعد التي يجلسون عليها أو حتى نظافة المكان الذي يستمعون فيه إلى كلمة الله؟

ألا يحتاج هذا المجال إلى أناس هم بحق مستخدمين من الله؟

وألم تفشل كثير من الكنائس لغياب هذه النوعية منها ؟

ألم تُسبِّح قديمًا دبورة الرب قائلة: «لأجْلِ قِيَادَةِ الْقُوَادِ فِي إِسْرَائِيلَ، لأجْلِ انتداب الشَّعْبِ، بَارِكُوا الرَّبَّ» (قضاة ٥:٢)

ما رأيك في هؤلاء

الذين يتعبون في الخفاء،

يعدّون المؤتمرات والفرص الروحية،

مهتمين بأصغر التفاصيل فيها،

ليهيئوا للنفوس فرصة للاستماع لكلمة الله؟

ما رأيك في شاب رأيته في أحد المؤتمرات يقضي الساعات الطويلة واقفًا يغسل أطباق الطعام، وعندما طلبت أن يشاركه آخرون في هذا العمل رفض ليوفر للآخرين فرصة للراحة لكي يتهيئوا لسماع كلمة الله؟

ما رأيك في زوجة ترعى أسرة كبيرة وتستهلك مطالب أسرتها طاقتها وكل

coptic-books.blogspot.com

وقتها فليس عندها أي وقت لتؤدي أي خدمة خارج منزلها، لكنها نجحت في أن تعين زوجها في تربية أولادهم بتأديب الرب وإنذاره ليكونوا جميعًا ملكًا للمسيح بل وجميعهم يخدمون الرب في مجالات مختلفة، ومع أن ظروفهم المادية كانت ضيقة جدًا، إلا أنها دبرت بيتها أحسن تدبير وعلمت أولادها أحسن تعليم ليشغلوا أعلى المراكز، والآن يشهد عنها جميع أولادها بأن كل بركة وصلت من الله إلى حياتهم وبيوتهم كانت أمهم هي الوسيلة التي استخدمها الله لذلك؟

ما رأيك في أخت لا تقود ولا تتسلط ولا تُعلم لكن قلبها مشتعل حبًا لشعب الرب فصارت أمًا للجميع

تفتقد العاثر

وتعول المريض

وتغيث الملهوف

وتنصح المخطئ

وتوبخ المعاند

كل هذا بروح الأم المُحبة العطوفة، أليست هذه تشبه دبورة التي تقول: «قمت أنا دبورة. قمت أمًا في إسرائيل» (قضاة ٥: ٧)؟ أو تشبه أم روفس التي يقول عنها بولس: «أمي» (رومية ١٦: ١٣)؟؟

ما رأيك في أم لم يكن لها الكثير من المواهب ولا الطاقات التي وهبها الرب لكثير من الأخوات لكنها:

استطاعت أن تُعلِّم ابنها من الطفولية كلمة الله

فصار هذا الطفل في يوم من الأيام تيموثاوس؟

وأخرى علمت ابنها من الطفولية الصلاة ووهبته للرب

فصار صموئيل؟

وثالثة أرضعت ابنها من البدء معنى الإيمان

فصار موسى؟

coptic-books.blogspot.com

ما رأيك في شخص كل ما يعرف أن يعمله هو أن يقود سيارة يجمع فيها المرضى وكبار السن ويذهب بهم إلى الاجتماع لكي لا يُحرموا من سماع كلمة الله؟

ما رأيك في مؤمن أعرفه أكرمه الرب من الناحية المادية جدًا، وليست عنده أية مواهب إلا الإنفاق وبسخاء على عمل الله في كل صوره، وعندما تقدمت به الأيام ونصحته أن يكف عن العمل ويستريح خاصة أنه عنده ما يكفيه، قال لي:

"لا أريد أن يأتي يوم أرى فيه عمل الله محتاجًا لشيء ولا أستطيع المشاركة؛ أنا عندي ما يكفيني، لكن عمل الله ليس عنده ما يكفيه بل لا زال يحتاج إلى الكثير؟"

ما رأيك في مؤمن أكرمه الرب بمركز علمي واجتماعي كبير ومرموق فلم يرتفع قلبه ولم يقِّل انفصاله عن العالم، بل وسط مجتمعه يُظهر حياة المسيح ويشهد بقوة عن عمل نعمة الله فيه، ومن خلاله يُظهر الله كذب الشيطان حين يروج بين الناس أن أتباع المسيح هم دائمًا من الجهال والفاشلين؟ ما رأيك في كل هؤلاء؟ ألا يمكنك أن تقول بملء الفم عن كل واحد منهم أنه مُستخدم من الله ؟

◁ بالطبع يمكنني، لكن هذا معناه أن كل شخص مولود من الله يمكنه أن يكون مُستخدمًا من الله؛ وهذا يختلف إلى حد ما عن ما كان في ذهني؛ فكلمة الاستخدام كانت كبيرة عندي للدرجة التي معها تقتصر على فئة معينة من أولاد الله ميَّزهم الله بهذا الشرف الكبير.

◀ **أن تكون كلمة الاستخدام كبيرة عندك، فهذا ليس بخطأ**، بل على العكس هذا ما يليق بها، وأن تعتبره شرفًا عظيمًا يميّز الله به أولاده فهذا أيضًا في محله،

لكن أن تتصور أن هذا قاصر على فئة معينة من أولاد الله فهذا بعيد عن فكر الله كل البُعد، بل إني لا أستبعد أن يكون للشيطان مصلحة في الترويج لمثل هذا الفكر لكي تظل

الزوجة المؤمنة المشغولة في احتياجات أسرتها

لتبنيها بناءً سليمًا،

coptic-books.blogspot.com

والطبيب الذي ينفق طاقته بإخلاص لعلاج مرضاه

مقدمًا المسيح في سلوكه،

والعامل الذي يكد ويتعب في عمله

ليوفر لأسرته قوت الحياة،

مطيعًا قول الرب: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا»

(٢تسالونيكي ٣: ١٠)،

ورجل الأعمال الذي يربح

لينفق على عمل الله،

أقول أن مصلحة الشيطان أن يظل هؤلاء جميعًا يظنون أنهم بعيدين عن أن يكونوا أدوات في يد الله يستخدمها استخدامًا عظيمًا لمجده ولبركة شعبه، وهكذا يظلوا فعلاً بعيدين عن الاستخدام.

◁ معنى هذا أن كل واحد وواحدة من أولاد الله يمكنه أن يكون مُستخدمًا من الله كلٌ في موقعه؟

◀ نعم يا عزيزي هذا هو فكر الله. فمقاصده أوسع جدًا من دائرة المنبر؛ فالمنبر بل والكنيسة نفسها لن تنجح في تأدية رسالتها إذا لم يكن كل مؤمن ومؤمنة مُستخدمًا من الله في موقعه. وفي قلب الله الكثير من المقاصد الصالحة التي يريد أن ينجزها من خلال أولاده والتي تحتاج إليهم جميعًا،

وهو ليس عنده أولاد خلقهم في المسيح يسوع

ونسي أن يعّد لهم الأعمال الصالحة التي عليهم أن يسلكوا فيها،

والمسيح على الصليب لم يَمُت

لكي يشتري أفرادًا بدون عمل،

والروح القدس لم يأت للأرض ويسكن في المؤمنين

ليكوِّن للمسيح جسدًا يحوي أعضاء بلا وظيفة.

coptic-books.blogspot.com

◁ وهل تريد أن تقول لي أن كل هذه الخدمات حتى البسيط منها يحتاج مَنْ يقوم بها إلى جرعة من الآلام يتهيأ بها لخدمته هذه ؟

◀ نعم أريد أن أقول هذا؛ لكن مع ثلاث تحفظات هامة للغاية:

أولاً: هو أني **عندما أقول الآلام**، لا أعني الكوارث المُرعبة، لكني **أقصد:**

مجالاً واسعًا يحوي العديد من الأشكال والأصناف المختلفة،

ابتداءً من أبسط الضيقات وأخفها،

وحتى أقسى الأمور وأثقلها؛

لذلك أراك فعلت حسنًا إذ استعملت كلمة "**جرعة**" في سؤالك؛ إذ أن

كل نوع من الخدمات

يحتاج إلى نوع معين من التدريبات

التي تقتضي كمية من الآلامات

يحسبها الله بدقة شديدة

بحيث تتناسب مع

نوعية الشخص الذي سيخدم

ونوع الخدمة المطلوبة

وحجم الاستخدام الذي سيحدث.

ثانيًا: ليست الآلام **ثمنًا** يدفعه المتألم لله لكي يستخدمه؛ بل هي مجرد **وسيلة** يستخدمها الله لكي تنتج في نفس صاحبها تغييرات مباركة تُهيئه للاستخدام وهذه هي التزكية التي يتكلم عنها في (رومية ٥: ٤) إذ يقول: «**الضيق ينشئ صبرًا، والصبر تزكية**».

ثالثًا: إن علاقة الآلام بالاستخدام ليست علاقة مباشرة.

coptic-books.blogspot.com

فالآلام لا تُنتج استخدامًا؛ لكنها تسهم إسهامًا فعالاً في إيجاد المؤهلات اللازمة للخدمة.

◁ هل يمكن أن تعطيني فكرة عن المؤهلات اللازمة للخدمة، وتجيبني بالمرة عن السؤال الأول بخصوص الكيفية التي تعمل بها الآلام في إيجاد هذه المؤهلات؟

◀ إن المؤهلات التي تحتاجها الخدمة كثيرة ومتنوعة، وتختلف طبقًا لنوع الخدمة، إلا أن هناك مؤهلات عامة تشترك في الاحتياج لها معظم الخدمات، سأذكر لك بعضها موضحًا الدور الهام الذي تلعبه الآلام في إيجادها.

فإلى اللقاء.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الرابع

الألم والقداسة

«**القَداسَةَ** التي بدونِها لن يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ»

(عبرانيين ١٢: ١٤)

القداسة هي المناخ الوحيد الذي تنشأ وتنجح فيه الخدمة الحقيقية

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

أعتقد أنه لا يمكن لأي مُنصف أن ينكر الأهمية القصوى للقداسة بل وحتميتها للاستخدام الإلهي،

فكيف يستخدم الله يدًا ملوثة بوحل الخطية لتعمل في المقدسات كأن تُقدم مثلاً للجياع خبز الحياة؟

وكيف يستطيع روح الله، وهو روح القداسة، أن يعمل ويتحرك في أجواء تشوبها غيوم النجاسة؟

نعم إن

القداسة هي المناخ الوحيد الذي تنشأ وتنجح فيه الخدمة الحقيقية.

◁ في الواقع يا أخي العزيز هناك شيء يؤلمني ويخجلني وكنت لا أود أن أسألك عنه؛ لكنك بحديثك عن أهمية القداسة العملية في حياة مَنْ يخدمون نكأت جرحًا قديمًا كنت أتمنى له أن يكون قد اندمل. إذ أني أرى كثيرين حولي في الكنائس، في مجال الخدمة هم نشيطون بينما في مجال القداسة العملية هم مهملون! فهل حدثتني أكثر عن أهمية القداسة العملية في حياة مَنْ يخدم ودور الألم في إيجادها؟

◀ لقد أوضحت لك بإسهاب في حلقتنا الأولى دور الألم في إيجاد حياة القداسة، طبقًا لقول الكتاب:

«فإن مَنْ تألم في الجسد، كُفَّ عن الخطية، لكي لا يعيش أيضًا الزمان الباقي في الجسد، لشهوات الناس، بل لإرادة الله»
(١بطرس ٤: ١و٢)

متخذين يوسف كمثال رائع لذلك. لكن لا مانع أن استطرد معك قليلاً في الحديث عن أهميتها،

فالكتاب لم يكثر في الحديث عن أهمية أمر ما في حياة مَنْ يخدم، مثلما فعل في أمر القداسة.

coptic-books.blogspot.com

والسفر الذي يعتبره البعض

دليل الكاهن في العهد القديم،

ألا وهو سفر اللاويين،

تتكرر فيه كلمة القداسة بمشتقاتها حوالي مائة مرة!

ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر حديث بولس عن أهمية القداسة في رسالته الأولى للمؤمنين في كورنثوس، ولاسيما ما ذكره في الأصحاح التاسع منها. ولا يُخفى عليك يا أخي العزيز حالة هذه الكنيسة: فقد كانت **الخدمة فيها كثيرة** بينما القداسة العملية قليلة. ولذلك كتب الرسول هذه الرسالة وغرضه الأساسي تصحيح هذا الوضع الخاطئ.

وفي هذا الأصحاح يدافع الرسول عن شرعية رسوليته ضد الذين يشككون فيها فبدأ حديثه بالقول:

«ألست أنا رسولاً؟.... هذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني».

ثم استطرد يقدم في طول الأصحاح براهين شرعية رسوليته، ثم شرعية حقوقه كخادم للمسيح، فللخادم حقوق على إخوته أوضحها الرسول بأمثلة كثيرة. وبينما يسرف البعض في استعمال هذه الحقوق، امتنع بولس عن أخذ أبسطها وعاش خادمًا أمينًا بدون أدنى حقوق. لكنه ختم حديثه بالكلمات التي جاءت في الأعداد من (٢٤- ٢٧):

«ألستم تعلمون أنّ الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحدًا يأخذ الجعالة؟ هكذا اركضوا لكي تنالوا. وكل مَنْ يُجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أمّا أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى، وأمّا نحن فإكليلاً لا يفنى. إذًا، أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين. هكذا أُضارب كأني لا أضرب الهواء. بل أقمع جسدي وأستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير (أكون) أنا نفسي مرفوضًا».

coptic-books.blogspot.com

وفيها يقدم الرسول أقوى دليل على مصداقيته، ولم يكن هذا الدليل سوى **القداسة العملية** فهو يقمع جسده ويستعبده، ثم يعلن هذا الإعلان الخطير أنه إذا لم يقمع الجسد ويستعبده فهذا ليس له إلا معنى واحد هو: أنه مرفوض أي غير مؤمن بالمرة. وعليه فالرسول هنا يعتبر القداسة العملية في الحياة: **ليست فقط الدليل على صحة رسولية رسول،**

ولا حتى على صحة خدمة خادم،

بل هي الدليل على صحة إيمان مؤمن!

◁ تعودت أن أفهم الرفض هنا على أنه رفض من المكافأة ؟

◀ كثيرون يعتقدون هذا، لكن بعضًا من المفسرين الأفاضل، أمثال داربي وكِلي وهول وهاملتون سميث وغيرهم، يرى أن القرينة توضح أن كلمة **"مرفوض"** تعني **"غير مؤمن"**. ويمكنني أن أقدم لك أربعة أسباب تؤكد صحة هذا الرأي:

١ – العدد التالي مباشرة والمرتبط بما سبقه بحرف الفاء في أصحاح١٠ عدد١ وحتى العدد١١، والذي يقدمه الرسول كمثال لما يقول، لم يكن فيه يتكلم عن أناس مؤمنين رُفضوا من المكافأة بل عن مزيفين سقطوا لعدم إيمانهم. فتكلم عن اشتراك جميع بني إسرائيل الخارجين من مصر في كل البركات الخارجية التي أنعم الله بها على الشعب؛ ومع هذا أثبتت الأيام أن بأكثرهم لم يُسر الله وكان برهان عدم مسرة الله بهم، أو بلغة أصحاح٩ عدد٢٧ برهان أنهم مرفوضون، هو عدم قداستهم واستسلامهم لرغباتهم وشهواتهم.

٢- استعار الرسول عدة تشبيهات من حلبات الرياضة، فتكلم عن السباق في عدد٢٤ والملاكمة في عدد٢٦ وبالتالي استعمل تعبيرات رياضية كثيرة مثل الركض، الميدان، الجعالة، الجهاد، الإكليل، أُضارب، وأعتقد أننا إذا رجعنا للتعبيرات الرياضية الشائعة في ذلك الوقت أو حتى في وقتنا هذا سنجد أن

coptic-books.blogspot.com

كلمة "مرفوض" هي أيضًا "تعبير رياضي يعني مُدان أو غير مقبول"، وفي الرياضة عندما نقول عن لاعب أنه مرفوض لا أعتقد أن المسألة هنا أنه لم يحقق نتيجة تُمكنه من الحصول على الجائزة، ففي هذه الحالة نقول عنه فشل أو عجز أو انهزم، لكن عندما نقول مرفوض فهو مرفوض من اللجنة المنظمة لأنه لا يصلح من الأصل لدخول السباق، وإذا اشترك فاشتراكه في المباريات غير قانوني. وهذا كان معروفًا في أيام بولس إذ يتكلم في (٢تيموثاوس ٢: ٥) لا عن الفوز في الجهاد بل عن قانونية الجهاد.

٣ – من استعمال الروح القدس لهذه الكلمة اليونانية في مواضع أخرى في العهد الجديد نستنتج أنه يتكلم عن غير مؤمنين، فهو قد استعملها في سبع مواضع أخرى بقلم بولس نفسه وهي:

- رومية ١: ٢٨ ⇦ وفيها يتكلم عن الذين أسلمهم الله لذهن مرفوض.
- ٢كورنثوس ١٣: ٥-٧ ⇦ وفيها يقول: "امتحنوا أنفسكم، أم لستم تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين" أي أن المرفوض ليس فيه المسيح من الأصل!
- ٢تيموثاوس ٣: ٨ ⇦ يتكلم عن أناس فاسدة أذهانهم ومن جهة الإيمان مرفوضون.
- تيطس ١: ١٦ ⇦ يتكلم عن أناس "يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه"! ثم يقول عنهم: "إذ هم رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون".
- عبرانيين ٦: ٨ ⇦ يتكلم في هذا الجزء الشهير عن هؤلاء العبرانيين المرتدين عن الإيمان المسيحي فيُشبههم بأرض شربت المطر النازل عليها مرارًا كثيرة ولكنها أخرجت شوكًا وحسكًا فيقول عنها : "فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة، التي نهايتها للحريق".

coptic-books.blogspot.com

وكل هذه الأجزاء تتكلم عن أشخاص مرفوضين من الله، ولا يمكن أن يصل المؤمن الحقيقي لهذه الحالة مهما ضعف أي أن يكون مرفوضًا.

٤ – أعتقد أن الذين قالوا أن الرفض هنا هو رفض من المكافأة قالوا هذا بحُسن نية؛ إذ خافوا أن يُفهَم منها أن المولود من الله يتحول ليصبح غير مولود من الله أي أنه يرتد ويهلك، وبالطبع فإن تحول المولود من الله ليصير غير مولود من الله كلام لا أساس له في كلمة الله ولا حتى يقبله المنطق الطبيعي، نعم هناك مَنْ يؤمنون إلى حين بحسب (لوقا ٨:١٣)، لكن هؤلاء ليس عندهم سوى إيمان عقلي عقيدي وليسوا مولودين من الله.

لكن بولس هنا **لا يقول** أنه من الممكن أن يتحول ليصبح غير مولود من الله إذا أهمل حياة القداسة، **لكنه يقول بكل وضوح أن:**

> الكرازة للآخرين ليست دليل مطلق على أن الشخص مولود من الله حتى ولو كان هذا الكارز هو بولس نفسه، لكن الدليل الدامغ هو منهج حياة القداسة الذي يعيشه الشخص،

وهذا ما أكده بولس عن نفسه في كل الأصحاح موضحًا كيف أنه يقمع جسده ويستعبده.

في هذا الصدد يقول رجل الله المستر داربي:

> **الكرازة للآخرين ليست هي كل شيء، فقد يكرز شخص للآخرين لكنه يكون كمَن يُضارب الهواء، ويفقد في النهاية كل شيء، بل يكون هو نفسه مرفوضًا إذا لم يكن هو مسيحي حقيقي!! أما بولس فهو مسيحي حقيقي قبل أي شيء، وكونه كارز وكارز جيد فهذا لكونه أولاً مسيحي، وبرهان مسيحيته هي القداسة.**

coptic-books.blogspot.com

◁ هل من الممكن أن تعطيني إيضاحًا لمعنى القداسة العملية في نور هذا الأصحاح؟

◄ هذا الأصحاح يقدم لنا معنى رائع لكنه غير شائع للقداسة العملية، فهي هنا **ليست مجرد الامتناع عن الرغبات غير المشروعة** أي الامتناع عن ارتكاب الخطايا والشرور، **لكنها قمع الجسد واستعباده** بمعنى عدم الإفراط في تلبية رغباته حتى المشروع منها، أي أن يكون الجسد خادم لي وتحت سيطرتي وأن تكون رغباتي حتى المشروع منها تحت تحكمي ولست أنا تحت تحكمها وهذا ما لا يقدر عليه أبدًا غير المولود من الله، في الوقت الذي يقدر أن يكون كارزًا! وهذا عينه هو ما وضح في حياة المعلمين الكذبة الذين يشير إليهم بولس في هذا الجزء!!

◁ ماذا تقصد بالرغبات المشروعة؟

◄ أقصد **كل الأشياء الطبيعية البشرية** التي

تريح الجسد وتلذذه، وتنعش النفس وتمتعها،

مادية كانت كالراحة والنوم والأكل

والشرب واللبس والجنس... إلخ،

أم **معنوية** كالمدح والتقدير والكرامة

والتشجيع والنجاح والحب... إلخ.

انظر المثال الذي أوضح الرسول به هذه الفكرة هنا، فهو من أول الأصحاح يتكلم عن شرعية رسوليته:

«**ألست أنا رسولاً؟**» وقدّم البرهان على ذلك، وبما أنه رسول فهو له سلطان أن يأكل ويشرب ويتزوج ويجول بزوجته ولذلك يقول:

«**ألعلنا ليس لنا سلطان أن نأكل ونشرب؟**

ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة؟»

لكنه لم يستعمل هذا الحق المشروع.

coptic-books.blogspot.com

ثم ينتقل بعدها إلى حق أخر من حقوقه المشروعة ألا وهو أن لا يشتغل عملاً أخر ليكسب منه عيشه بل يعيش من الإنجيل: «**أم ليس لنا سلطان أن لا نشتغل؟**» ويُقدم بعدها عشرة أدلة من الطبيعة والناموس والإنجيل تؤكد جميعها أن من حقه أن لا يشتغل. لكنه أيضًا لم يستعمل هذا الحق وكان يشتغل ويكد ليلاً ونهارًا، ويقول عن هذا «**أمّا أنا فلم أستعمل شيئًا من هذا... إذ وأنا أُبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة، حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل**» (**عدد ١٥، ١٨**).

إنه لم يستعمل حقوقه المشروعة، لم يستعمل حريته. كان متعففًا نزيهًا قادرًا على ضبط نفسه. كان متمثلاً بالمسيح الذي لم يُرضِ نفسه (رومية ١٥: ٣). يقول في نهاية الأصحاح التالي بصدد ذات الحديث: «**غير طالبٍ ما يوافق نفسي، بل الكثيرين، لكي يخلصوا. كونوا متمثلين بي كما أنا أيضًا بالمسيح**» (**١٠: ٣٣، ١١: ١**).

◁ في الواقع هذا المفهوم للقداسة العملية جديد بالنسبة لي، فقد كنت دائمًا أقصرها على مجرد الامتناع عن الشر وليس بمعنى ضبط النفس في كل شيء، لكن سؤالي الآن هو: هل للألم دور في إنتاج القداسة العملية بهذا المفهوم؟

◀ من المؤكد أن للألم دور عظيم في هذا، والواقع الروحي لنا كأولاد الله يؤكد هذا. فحياة القداسة بمعنى ضبط النفس وجعل رغباتنا المشروعة تحت تحكمنا تصبح صعبة علينا جدًا في أوقات الرفاهية والوفرة، وتجدنا نتفرغ لتبرير تصرفاتنا على أنها مشروعة، بينما تجدنا نعيش هذه الحياة الرائعة، حياة ضبط النفس والتعفف، بسهولة في أوقات الضيق والألم.

◁ هل من مثال؟

◀ أعتقد أن داود أوضح مثال على هذا، فهذا الذي في وقت الفقر والضنك والهروب المستمر طريدًا، ضربه قلبه لأنه قطع طرف جبة شاول (١صموئيل ٢٤)،

coptic-books.blogspot.com

وقد كان شاول يريد قتله، أي أن داود لو كان قد قتله في ذلك الوقت لكان عمله عملاً مشروعًا من أعمال الدفاع عن النفس، **لكنه كان**

متعففًا عن الانتقام لنفسه

وترك الأمر ليد الرب لتُنصفه!

هذه هي القداسة العملية الحقيقية.

بينما هو بعينه بعد جلوسه على العرش، خرج الشعب للحرب وجلس هو على سريره حتى المساء مسترخيًا ومستمتعًا طوال اليوم بالدفء والراحة لبدنه، وقام في المساء ليتمشى على سطح قصره فرأى امرأة تستحم فلم يضبط نفسه

فاشتهى امرأة قريبه

نظر إلى ما لا يحل له

فاشتهى ما لا يحل له

وأرسل وأخذها أي **أخذ** ما لا يحل له **وزنى** بها

ثم بتخطيط دنيء **قتل** زوجها أوريا الحثي (٢صموئيل ١١).

وقد كان أوريا الحثي واحدًا من أبطاله (٢صموئيل ٢٣: ٣٩)!! بل كان الصديق الوفي له والجندي الأمين للرب وللملك!!

كما أن **إخوة كورنثوس** أنفسهم هم خير مثال لهذا، فهم إخوة أغنياء ومستريحين وليسوا كإخوة فيلبي الفقراء (٢كورنثوس ٨: ٢) أو كإخوة تسالونيكي المتألمين (١تسالونيكي ٢: ١٤) ولهذا بينما

نجد **إخوة فيلبي** وكذلك **إخوة تسالونيكي**

يرتقوا أعلى القمم الروحية

نجد بكل أسف **إخوة كورنثوس**

وقد انتشرت بينهم كل أنواع الشرور والفساد!

coptic-books.blogspot.com

ولم يسعفهم غناهم في العلم الروحي والمواهب الروحية!!

يقول لهم الرسول عن غناهم ورفاهيتهم المادية وأثرها على حياتهم الروحية في (١كورنثوس ٤:٨):

«إنكم قد شبعتم! قد استغنيتم! ملكتم بدوننا!

وليتكم ملكتم لنملك نحن أيضًا معكم!».

هذا هو حالهم، شبع وغنى وعيشة كالملوك،

بينما بعدها مباشرة يصف الرسول حاله هو وبقية الرسل فيقول:

«إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونُلكَم وليس لنا إقامة، ونتعب عاملين بأيدينا. نُشتَم فنُبارِك. نُضطَهَد فنحتمل. يُفتَرَى علينا فنعظ. صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن»!!

(١كورنثوس ٤: ١١- ١٣)

◄ لكن هيا بنا لنرى معًا المزيد من هذه المؤهلات والتي تلعب الآلام دورًا كبيرًا في الحصول عليها بل والتفوق فيها.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الخامس

الألم والشركة للاستخدام

«ولو وقَفوا في مَجلِسي؟!»

(إرميا ٢٣: ٢٢)

كيف نخدم الرب دون أن نفهم أفكاره؟ وكيف نفهم أفكاره لننجزها دون شركة عميقة معه؟

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

- كيف نخدم الرب دون أن نفهم مقاصد قلبه؟
- وماذا تكون الخدمة الصحيحة إلا إتمامًا لأفكار الله وإنجازًا لمقاصده؟
- ثم كيف نفهم أفكاره لننجزها دون شركة عميقة معه؟

إن مأساة هذه الأيام ليست هي قلة الذين يخدمون؛ فالذين يتحركون ليخدموا هم كثيرون؛ لكنهم للأسف الشديد يتحركون متممين أفكارهم أو أفكار الناس وليس أفكار الله. إن أيامنا تشبه أيام إرميا النبي حيث يقول الرب بأسى شديد عن مثل هؤلاء:

«لم أُرسل الأنبياء بل هم جَرَوا. لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا. ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الرديء» (إرميا ٢٣: ٢١، ٢٢).

◁ لكن ما هو دور الآلام في الشركة؟

◀ **على مر العصور كان للألم دور عظيم في حياة أولاد الله لتعميق شركتهم مع الله.**

فكم من مؤمنين عاشوا مكتفين بمستويات ضحلة للغاية من الشركة، وكانت مسرات العالم أو مشاغل وهموم الحياة تستحوذ على كل تفكيرهم، فلم تبق لهم رغبة لتعميق شركتهم مع الله،

وإن حدث وتولدت عندهم مثل هذه الرغبة أحيانًا فلا يكون إلا لبضعة أيام عقب نهضة أو بعد حضور مؤتمر، ثم يذهب كل شيء سريعًا لحاله، ويعود الأمر لما كان عليه.

لقد كان الذهاب للاجتماع
أو رحلة مع الكنيسة
أو حضور مؤتمر
أو قراءة أصحاح من كلمة الله

هي كل مظاهر شركتهم مع الله.

coptic-books.blogspot.com

إلى أن سمح الرب المحب الحكيم بقسط محسوب من الآلام؛

- فكان بمثابة الشوكة التي وخزتهم فأيقظتهم من سباتهم صارخين، ليلقوا بأنفسهم في حضنه؛

إلا أنهم بعد أن نعموا بدفء هذا الحضن العظيم أثناء الألم لم يستطيعوا الحياة بعيدًا عنه بشبر واحد بعد ذلك، سواء كانت هناك آلام تدفعهم إليه أو لا توجد.

- أو كانت الآلام كالمثقب الذي ثقب قلوبهم فأفرغ منها كل ما فيها من محبة للعالم، وتركها فارغة تصرخ بحثًا عن إلهها ليضمد الجرح ويملأ الفراغ؛

وبعد أن استشعروا روعة هذا الامتلاء،
لم يضحوا به إطلاقًا مهما كان الإغراء.

- أو كان الألم كالحفار الذي حفر نفوسهم جبابًا جبابًا مُعدًا مكانًا لسيل المياه القادمة، والتي أتت من قبل مرارًا ولكنها مع الأسف عادت إذ لم تجد لها مكان استقرار؛

أما الآن فهي لن تستقر فقط بل إنها
ستجري من بطونهم أنهارًا غزارًا.

والأمثلة في كلمة الله لمثل هذه الحالة كثيرة، لكني أسوق لك مثلاً واحدًا من (مزمور٤٢)، وهو من مزامير الشركة الشهيرة. في هذا المزمور نجد أن الشركة مع الله بالنسبة لكاتبه كانت لا تزيد عن كونها زيارات سنوية في الأعياد لبيت الله، حيث الفرح والاستمتاع بالترنيم والشركة مع شعب الله، وقد عبّر عن هذا بقوله:

«كنت أمر مع الجُمّاع، أتدرج معهم إلى بيت الله
بصوت ترنمٍ وحمدٍ، جمهورٌ معيدٌ»

واستمر الوضع هكذا إلى أن سمح له الرب بالالتحاق بمدرسة الألم؛ إذ قد طُرد من أرضه وعانى في السبي من تعييرات المضايقين كل يوم حتى انسحقت عظامه وانحنت نفسه، وعندئذ حدث التحول العجيب،

coptic-books.blogspot.com

إذ نراه يشتاق:

لا إلى شعب الله وترانيمه،

ولا إلى بيت الله وأعياده،

بل ويا للروعة،

إنه يشتاق بل يعطش إلى الله نفسه

فنسمعه يقول:

«كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه،

هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله.

عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي،

متى أجيءُ وأتراءى قدام الله؟»

(عدد ١، ٢).

⇦ أيضًا الاستخدام يستلزم قوة:

- لقد تميزت **خدمة الرب يسوع** بالقوة من بدايتها، فيقول الكتاب:

«رجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل... وكان يُعَلِّم في مجامعهم مُمَجَّدًا من الجميع»

(لوقا ٤: ١٤، ١٥)،

- كذلك شهد الكتاب عن **خدمة الرسل** في بداية سفر الأعمال:

«وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع»

(أعمال ٤: ٣٣)،

- وقيل أيضًا عن **خدمة استفانوس** إنه:

«كان مملوًّا إيمانًا وقوةً»

(أعمال ٦: ٨)

coptic-books.blogspot.com

♦ **وبولس** عندما وصف خدمته في كورنثوس قال:

«وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُقنع، بل ببرهان الروح والقوة»

(١كورنثوس ٢: ٤).

وهكذا ينبغي أن تكون كل خدمة لله، دائمًا متميزة بقوته، وإذا خلت من القوة أمست ليست فقط غير نافعة بل على العكس ضارة إذ أنها تجلب الإهانة لله الذي تؤدَّى تحت اسمه.

ومشكلة هؤلاء، الذين يخدمون دون قوة، لا تكمن في ضعفهم، بل على العكس تكمن في قوتهم، فهم للأسف يخدمون بقوتهم الإنسانية الطبيعية؛ إذ يستشعرون في أنفسهم الكفاءة والمقدرة على تأدية الخدمة المطلوبة.

وكم يتألم الأتقياء في هذه الأيام وهم يرون خدمة بنشاط كثير لكنها للأسف تخلو من لمسة القوة الإلهية. ولذلك فعلى الرغم من المجهودات الكثيرة المبذولة تجد الخطاة لا يُنخسون، والمؤمنون لا يُطعمون، والغالبية العظمى من المسيحيين لهم صورة التقوى وهم منكرون قوتها.

وهذا بالطبع ناتج عن الجهل بحقيقة أساسية وهامة جدًا؛ وهي أن:

قوة الإنسان لا تصلح البتة في خدمة الله

بل أن الله يرفضها ويحذر من استعمالها، فالعرق الذي نرى فيه مجهود الإنسان كان مرفوضًا ظهوره في هيكل الرب (حزقيال ٤٤: ١٨)، بل ويقول الكتاب صراحة أن الرب:

«لا يُسَرُّ بقوة الخيل. لا يرضى بساقي الرَّجُل. يرضى الرب بأتقيائه، بالراجين رحمته»

(مزمور ١٤٧: ١٠، ١١).

coptic-books.blogspot.com

فخدمة الله لا يصلح لتأديتها سوى قوة الله

◁ ماذا تقصد بقولك "يستعمل الخادم قوته الإنسانية في الخدمة"؟

◀ **القوة التي يخدم بها الخادم، هي بصفة عامة، الشيء الذي يستند عليه فعلاً في تأدية خدمته**، بغض النظر عن ما يقوله بلسانه عن هذا السند. فمعظم الذين يخدمون يقولون أنهم يستندون على الرب – وربما عن إخلاص – لكن هذه للأسف ليست هي دائمًا الحقيقة:

- فواحد يذهب لخدمته مملوءًا بالثقة بسبب موهبته التي أثنى عليها كثير من المؤمنين،
- وثان يذهب مستندًا على معلومات كتابية حصّلها من الكتب والشروحات،
- وثالث يذهب مستندًا على ما تعب في إعداده وحفظه جيدًا،
- وآخر يستند على سنوات خبرة طويلة في مجال الخدمة،
- وغيره يستند على شعوره بأنه أفضل من غيره في هذا المجال،
- وآخر يندفع مستندًا على تاريخ ماضي وشهرة شخصية أو حتى عائلية،
- وهناك مَنْ يعتمد على فصاحته أو ذكائه أو جاذبية حديثه أو قدرته على انتزاع الضحكات منهم،
- وآخر ربما لا يجد شيئًا يعتمد عليه سوى وسامته فيستعملها؛

إلى آخر مثل هذه الأشياء التي تندرج جميعها تحت هذا العنوان "**القوة الإنسانية**". وهذه الأمور جميعها قد تكون نافعة، بل وربما لازمة، في إدارة الشركات أو إلقاء المحاضرات، بل وربما تلزم في كافة مجالات العمل الزمني، إلا **أنها لا تصلح في خدمة الله.**

◁ هل هذه الأمور لا تفيد البتة في الخدمة على الرغم من كونها وزنات طبيعية حباها الله للإنسان؟

coptic-books.blogspot.com

◄ لكونها وزنات طبيعية قد يستعملها الله في الخدمة، لكن بشرط أن توضع على الصليب؛ أي أن تصبح في حكم الموت بالنسبة لصاحبها، فباقتناع عميق في داخله يعرف عدم نفعها ولا شيئيتها؛ فلا يستند عليها البتة في خدمته، **بل في كل خدمة مهما صغر حجمها عليه أن:**

يشعر بضعفه فيلقي نفسه بكل ثقله على **الله القدير**

ويشعر بجهله فيلقي بنفسه بكل ثقله على **الله الحكيم.**

◁ وما هو دور الألم في هذا؟

◄ بحسب اعتقادي أرى أن الألم هو الوسيلة الوحيدة التي يستخدمها الله لإفراغ الخادم من شعوره بالقوة، ولكي يصل به إلى الشعور العميق بضعفه وعدم الاستناد على وزناته الطبيعية مهما كانت عظمتها.

◁ هل لديك أمثلة تثبت ذلك؟

◄ إن كلمة الله تحوي الكثير من الأمثلة التي تشرح وتبرهن صحة هذا الاعتقاد، إلا أنني سأسوق لك مثلاً واحدًا لكنني أراه كافيًا ألا وهو **موسى** نبي الله العظيم وخادمه الأمين.

لقد رأى الله الحكيم أن يلحق عبده بمدرسة الألم:

- فنقله من القصور البهية ← إلى ما وراء البرية،
- ومن رفاهية حياة الأمراء ← إلى شظف عيش إعرابي في الصحراء،
- ويفتقر من له خزائن مصر ← إلى رغيف خبز
- فيشفق عليه رعوئيل ← ويدعوه ليأكل طعامًا.
- وذلك لا لأربع سنوات كمعظم الكليات، ← بل عشر مرات أربع سنوات،

coptic-books.blogspot.com

فيها تحول:

الأمير	إلى أجير،
وابن ابنة فرعون	إلى طريد فرعون،
والقائد الهمام	إلى راعي أغنام،
وبدلاً من التزوج بأجمل أميرة مصرية	تزوج من صفورة الكوشية،
والذي تهذب بكل الحكمة المصرية	لم يجد عملاً سوى رعاية الأغنام الغبية،
والمقتدر في الأقوال	يصبح ثقيل الفم واللسان،
والمقتدر في الأعمال رجلاً ناضج القوة في الأربعين	يصبح شيخًا طاعنًا في السن في الثمانين.

والسؤال الهام الآن: لماذا يسمح الله لخادم أمين بهذا ولاسيما أن الشعب كان في أشد الحاجة إليه؟ وما يزيد الأمر غموضًا أن الكتاب نفسه قد شهد عن **نقاوة دوافعه لخدمة شعبه**، وعن **عظمة وقوة تكريسه لإلهه** أروع شهادة.

فعندما خرج لخدمة إخوته لم يكن يبغي سلطانًا عليهم، فما قيمة سلطان على شعب مذلول في معاجن الطين لواحد كان له السلطان على أعظم عرش في ذلك الزمان، لكن الكتاب يذكر لنا سبب خروجه إليهم فيقول: «لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم» (خروج ٢: ١١)،

وأما عن **تكريسه لإلهه** فيقول الكتاب:

«بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يُدعَى ابن ابنة فرعون، مفضلاً بالأحرى أن يُذَل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية، حاسبًا عار المسيح غنًى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة»

(عبرانيين ١١: ٢٤-٢٦).

coptic-books.blogspot.com

والعجيب أن هذه الشهادة الرائعة عن نقاوة دوافعه وعظمة تكريسه كانت قبل أن يلحقه الله بمدرسة الألم، فماذا كان الداعي لهذه الآلام بعد الوصول لهذه القمم العالية؟

لقد كانت المشكلة بالنسبة لموسى ليست في دوافعه ولا في تكريسه؛ لكن في قوته.

لقد كان بالطبيعة جميل المنظر وقوي البنيان وحباه الله فصاحة وذكاء، وأعطاه القصر فرصة أن يتهذب بكل حكمة المصريين أعلى العلوم في ذلك الوقت، أضف إلى هذا الخبرة العسكرية والسياسية والقدرة على الزعامة والقيادة التي اكتسبها لكونه ابن ابنة فرعون، هذه الأمور جميعها ملأت موسى بالشعور بكفاءته لخلاص إخوته،

لقد كان بإمكانه أن يجيب على سؤال بولس الشهير:

«من هو كفء لهذه الأمور؟» بالقول: أنا.

لذلك يقول الكتاب عنه:

«لمّا كمِلَت له مدة أربعين سنة (لاحظ ليس لما كبر كما في الشهادة عن دوافعه وعن تكريسه)، خطر على باله أن يفتقد إخوته بني إسرائيل. وإذ رأى واحدًا مظلومًا حامى عنه، وأنصف المغلوب، إذ قتل المصري. فظن أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاةً، وأمّا هُم فلم يفهموا»

(أعمال ٧: ٢٣-٢٥).

لقد كان يثق في أفكاره واستنتاجاته (لاحظ خطر على باله... وظن...)، بل اتكل أيضًا على قوته العضلية وشجاعته ونسي تمامًا أن أفكار الله ليست أفكارنا وطرقه ليست طرقنا، بل نسي أيضًا أن الله لا يسر بقوة الخيل ولا يرضى بساقي الرجل (مزمور ١٤٧: ١٠).

coptic-books.blogspot.com

لذلك وعلى الرغم من نقاوة الدوافع وعظمة التكريس كان لابد من النقل إلى ما وراء البرية:

ليفرغه الله تمامًا من كل شعور بالقوة،

ويفرغه أيضًا من كل شعور بالأهمية.

- فعدم تقدير إخوته لخدمته، ودفعهم له،
- وعدم فهمهم لنقاوة دوافعه،
- واتهامهم له بتهمة غبية هو أبعد ما يكون عنها (إنه يرغب أن يكون رئيسًا أو قاضيًا)،
- بالإضافة إلى استغناء الله عن خدماته لمدة أربعين سنة،

كل هذا كان كافيًا أن يقضي تمامًا على أي شعور بالأهمية كان في قلب موسى من جهة نفسه.

ومن السهل أن نلحظ هذا عندما دعاه الرب في سن الثمانين لينجز المهمة التي فشل في إنجازها في سن الأربعين، إذ نراه مرة تلو الأخرى **يعلن عن عجزه وضعفه وعدم كفايته لهذه المهمة**، للدرجة التي أغضبت الرب إذ رأى أن موسى قد تطرف فلم يعد الأمر عدم ثقة في نفسه فقط، لكن عدم ثقة في الله أيضًا، لكنه بنعمته ترفق به وعالجه.

وهكذا ذهب موسى ليُخلِّص إسرائيل مستندًا لا على إمكانياته، فلم يبق منها شيئًا، لكن على الله الباقي إلى الأبد. وصدق من قال أن موسى:

قضى في القصر أربعين سنة

تعلم فيها أنه شيء،

وقضى في البرية أربعين سنة

تعلم فيها أنه لا شيء،

وقضى في قيادة شعب الرب أربعين سنة

تعلم فيها أن الرب هو كل شيء.

coptic-books.blogspot.com

إن الله يا عزيزي يستطيع أن ينجز كل أعماله بالاستغناء الكامل عنا وعن خدماتنا،

فمَنْ كان معينه يوم أتقن العالمين؟!

وعلى مَنْ استند يوم أكمل الفداء؟!

لكنه في نعمته ومحبته لنا يرغب أن يشركنا في أفكاره ويستخدمنا في أعماله، إلا أنها تصبح حماقة بالغة منا إن ظننا أن اختياره لنا لخدمته بسبب كفاءة عندنا، أو لأنه في حاجة إلى إمكانياتنا،

فخدمته لا تنجزها سوى **قوته**

وأعماله لا تتقنها سوى **حكمته**،

وعليه فإنه يلزم لكل مَنْ يستخدمه

أن يفرغه أولاً من **قوته وحكمته**

وستكون النتيجة عندئذ ليس فقط نجاح الخدمة لكن ما هو أهم من ذلك؛ ألا وهو: **"تمجيد الله" إذ تصبح تلك الأواني الضعيفة المسكينة مجالاً لاستعراض قوة الله وحكمة الله فيتمجد من خلالها،**

«إن كان يتكلم أحدٌ فكأقوال الله. وإن كان يخدم أحدٌ فكأنه من قوة يمنحها الله، لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح، الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين»
(١بطرس ٤: ١١).

◁ لكن كيف يمكن أن نميز نوع القوة التي يخدم بها الخادم إن كانت إنسانية طبيعية أم إلهية روحية؟

◀ في الواقع يا عزيزي إن لعرق **القوة الإنسانية** رائحة نفاذة لن تخطئها أبدًا أنف الشخص الروحي، فالروحي يحكم في كل شيء (١كورنثوس ٢: ١٥)، أي **أن الروحي فقط** هو الذي يستطيع أن يميز رائحة القوة الجسدية،

coptic-books.blogspot.com

أما **القوة الإلهية الروحية** فلها عبيرها وشذاها الطيب الذي لن تخطئه كل الأنوف؛ فحتى العامّي إن دخل الاجتماع وكان الجميع يتنبأون بعمل روح الله فيهم، فإنه سيشتم عبير القوة الإلهية ويميزها فيخر على وجهه مناديًا أن الله بالحقيقة في وسط هذه الكنيسة.

◁ لكن ألا توجد علامات معينة تساعدنا على التمييز؟

◀ لا يمكنني جمع كل العلامات، لكن من (١كورنثوس ١٢، ١٤) نفهم أن أهم العلامات التي تُظهر أن القوة العاملة في الخدمة هي قوة الله، هي **"بنيان الجماعة"**.

إذ أن القوة الإنسانية لا تهدف أبدًا إلى بنيان القديسين، والذي يخدم بها له أغراض أخرى مختلفة:

- فهو ربما يخدم متخذًا الخدمة مجالاً لإشباع هوايته أو وسيلة لتسليته،
- وقد يتطور الأمر عنده فتصبح الخدمة بالنسبة له مسألة حياة أو موت إذ من خلالها يحقق ذاته ويجد معنى لوجوده،
- أو ربما يتخذها كوسيلة لإشباع فراغ نفسي عميق فيه ألا وهو دعوة الآخرين لاكتشافه وجذب الأبصار لنفسه، هذا إن كان من الشخصيات الهستيرية،
- أو ربما يجد في الخدمة منفذًا يفرغ من خلالها شحنات مرارة وأحقاد تملأ نفسه، هذا إن كان من الشخصيات غير السوية نفسيًا واجتماعيًا،
- أو يجد في الخدمة فرصة لإشباع رغبات جسدية أو مادية تعويضًا عن مركز أدبي لم يستطع أن يحققه في العالم أو كان له ثم ضاع منه؛

إلى آخر هذه الأهداف التي تنحصر في شيء واحد: **أن صاحبها لا يخدم الجماعة لكنه يخدم نفسه**، وبالطبع فإن هؤلاء يعتمدون اعتمادًا كليًا على القوة الإنسانية الجسدية **وتكون خدمتهم دائمًا سبب مرارة وأنين عند الجماعة إذا كانت هذه الجماعة روحية لها القدرة على التمييز، كما أن خدمتهم لا تؤول أبدًا**

coptic-books.blogspot.com

إلى بنيان القديسين. وعلى العكس من ذلك تمامًا تكون الخدمة الناتجة عن القوة الإلهية، فإنك تجد **كل القلوب مفتوحة لها والأحشاء مستريحة بها وتؤول فعلاً إلى بنيان الكنيسة ونموها**.

◁ وكيف يمكن للشخص الذي يخدم أن يميز هو نوع القوة التي يخدم بها؟

◀ بلا شك هناك حتمية أن يفحص الخادم نفسه ليعرف نوع قوته وعلى أي شيء يعتمد في خدمته، لكن عليه أيضًا ألا يكتفي بذلك بل عليه أن يفسح المجال للرب ليفحصه ويكشف له عن حقيقة نفسه، هذا ما قاله بولس في (١كورنثوس ٤: ٤): «فإني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مبررًا. ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب».

لكنني أعتقد أن الشخص الذي يخدم معتمدًا على القوة الإلهية يتميز بشيئين:

أولاً: الشعور الشديد والدائم بالمسكنة

فهو دائمًا يشعر أنه **ليس عنده في ذاته أي مصدر يعتمد عليه**، ليس فقط لإنجاز الخدمة بل حتى لإعاشته في أمور الحياة البسيطة. فهو، كالخادم العظيم ربنا يسوع الذي كان أكبر مسكين ظهر على الأرض، فقد كانت دائمًا صلاته في **بداية كل يوم**: «**احفظني يا الله لأني عليك توكلت**»، وفي **نهاية كل يوم** يرنم قائلاً: «**أبارك الرب الذي نصحني**»! ولقد كان طول النهار والليل يلهج في ناموس الرب لكي ينجح في كل طرقه!

أعتقد أنه إذا توفر في الخادم هذا الكم من الشعور بالمسكنة لابد أن تنسكب فيه القوة الإلهية بغزارة، أما الجرأة والجسارة والثقة بالذات والشعور بالكفاءة فهي ليس من سمات المسكين بالروح على الإطلاق.

ثانيًا: الصلاة

لقد كان الرب يسوع الخادم العظيم أكبر مُصلٍّ ظهر على وجه الأرض بل إنه

coptic-books.blogspot.com

استطاع أن يقول: «**أمّا أنا فصلاةٌ**» (مزمور ١٠٩: ٤)، هذا بالطبع نتيجة حتمية للشعور بالمسكنة.

وإذا سأل كل خادم نفسه بأمانة: **ما هو عمق شعوري بالمسكنة**؟ وقبل أن يجيب عليه أن يسأل أيضًا: **ما هو كم صلاتي**؟ عندئذ سيمكنه تمييز نوع القوة التي يخدم بها.

قد نخدع أنفسنا من جهة شعورنا بالمسكنة ونقول أننا مساكين، لكن أعتقد أننا من الصعب أن نخدع أنفسنا من جهة كمْ صلواتنا والتي هي: التعبير الوحيد عن المسكنة الحقيقية

◁ ما هي الأسباب في رأيك التي تعطل المؤمن عن الوصول لهذا الشعور بالمسكنة؟

◀ **في الحقيقة نحن** بالطبيعة نبغض هذا الشعور،

أضف إلى هذا أن فكر العالم من حولنا يحارب ويرفض هذا الشعور، بل ويعلِّم عكسه تمامًا.

لكني أرى أن المواهب الطبيعية والإمكانيات المادية هي أكبر المعوقات أمام وصول الخادم لهذا الشعور، وبالتالي عدم إكثاره من الصلاة.

فعلى سبيل المثال:

كانت **رفقة** تتمتع بشخصية قوية قادرة على التحمل بشكل رهيب وقادرة على اتخاذ القرارات المصيرية بقوة بالغة، ولذا ظلت تتحمل عار العقم عشرين سنة دون أن يسجل عنها الكتاب أنها صَلَّت، وفي النهاية صلى إسحق لأجلها.

وكان **يعقوب** يتمتع بذكاء شديد كان يستخدمه في كل المواقف الصعبة ليصل إلى مآربه ولا يشعر باحتياج للصلاة، وظل هو الآخر عشرين سنة عند لابان يعاني ولكنه يتصرف دون أن يشعر بالاحتياج للصلاة.

coptic-books.blogspot.com

وكان **حزقيا** صاحب إمكانيات مادية ضخمة كانت تجعله يواجه ملك أشور بزيادة الأسلحة والتحصينات أو بدفع الرشوة ولا يشعر بالمسكنة أبدًا وبالتالي لا يصلي.

ومع هؤلاء جميعًا نجح الله في أن يصل بهم للمسكنة والصلاة وكان الألم هو وسيلته الوحيدة لذلك.

- فتزاحُم الولدان في بطن **رفقة** جعلها **تصلي**.
- ومجيء عيسو ومعه أربعمائة رجل جعل **يعقوب يصلي**.
- ومرض **حزقيا** في ريعان الشباب بمرض مميت جعله **يصلي**.

وهكذا لن يعجز الله عن الوصول بخدامه إلى هذا الشعور بالمسكنة لكن بالطبع من خلال الآلام.

◁ هل من الممكن أن يعود الخادم مرة أخرى للاتكال على القوة الإنسانية واستعمال الإمكانيات الجسدية بعد أن يجيزه الله في مدرسة الآلام لإفراغه منها؟

◀ نعم بالطبع هذا وارد، **لكن الله في هذه الحالة يسمح باستمرارية نوع من الألم يلازم الخادم طيلة حياته**، وأعتقد أن حماية بولس من احتمالية ارتفاع قلبه بسبب كثرة الإعلانات الإلهية التي حصل عليها، كانت من أقوى الأسباب التي استلزمت منحه شوكة في الجسد، لتكون الشوكة بمثابة مثقب دائم الوجود في حياة بولس ليوجد عند اللزوم ثقبًا في كيانه يفرغ الله من خلاله كل شعور بالكفاءة الإنسانية يتراكم عند بولس، وعليه فقد ظل بولس يشعر دائمًا بضعفه ويعلن هذا الإعلان:

«حينما أنا ضعيفٌ فحينئذ أنا قويٌ».

coptic-books.blogspot.com

الفصل السادس

الألم والخضوع

«هل مَسَرَّةُ الرَّبِّ بالمُحرَقاتِ والذَّبائحِ كما
باستِماعِ صوتِ الرَّبِّ؟»

(١صموئيل ١٥:٢٢)

كل مؤهلات ومواهب الخادم مهما عظمت، تصير جسداً بلا روح، إن تزحزح الخادم عن خضوعه الكامل للرب.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

◁ عاد صديقي المتألم يسألني: لقد عرفت حتى الآن الدور الكبير الذي يقوم به الألم في إيجاد مؤهلات أساسية تؤهل المؤمن لخدمة الرب؛ كالقداسة والشركة وإفراغ الخادم من قوته لكي يتهيأ لانسكاب القوة الإلهية فيه. فهل هناك مؤهلات أخرى، للألم دور فيها؟

◀ نعم وسأحدثك هذه المرة عن الخضوع. فمع أهمية المؤهلات التي ذكرتها والتي سأذكرها لك، إلا أني أرى أن خضوع الخادم للرب هو روحها وجوهرها، وبالتالي فهو أهمها. **فكل مؤهلات ومواهب الخادم مهما عظمت، تصير جسدًا بلا روح، إن تزحزح الخادم عن خضوعه الكامل للرب.**

◁ ماذا تقصد بخضوع الخادم للرب؟

◀ أقصد أن الخادم الحقيقي **ليس له الحق** في أن يقرر ماذا يخدم ولا أين يخدم، بل إني أتخيله دائمًا:

كعبد يجلس عند قدمي سيده

وقد تحول جسده كله إلى

آذان صاغية **وعيون** شاخصة

في انتظار وترقب لكلمة من فم سيده

أو إشارة من يده تُعبر عن رغبته،

وعندئذ يُسرع **لتنفيذها**.

وليس ذلك فقط، بل إن خضوعه الحقيقي يظهر أكثر، **ليس في الإسراع للتنفيذ، بل في المكوث للانتظار**. فإن صمت السيد ولم يكلف عبده بشيء، فليس الخادم عندئذ حرًا ليفعل ما يراه مناسبًا، لكنه يظل قابعًا في مكانه منتظرًا أوامر سيده، قانعًا مهما طال الانتظار بأنه يكفيه فخرًا وشرفًا أنه قريب من سيده حائزًا رضاه.

◁ ولماذا تعتبر الخضوع هو أهم المؤهلات؟

coptic-books.blogspot.com

◄ لأني أعتقد أن الخضوع بمفرده هو القادر على جعل الشخص خادمًا للرب، وهو السبب الرئيسي لاكتساب هذا اللقب الشريف **"خادم الرب"**، فمَنْ لم يتعلم الخضوع للرب، أو مَنْ ضاع منه خضوعه، لا يستحق إطلاقًا هذا اللقب. ذلك لسبب بسيط؛ أن الخدمة في جوهرها هي فعل إرادة آخر، وبالتالي فأنت **خادم لمَن تعمل إرادته**،

إن **عملت إرادة نفسك** فأنت **خادم لنفسك**،

وإن **عملت إرادة الناس** فأنت **خادم الناس**،

إن **عملت إرادة الإخوة** فأنت **خادم الإخوة**،

ولكن إن **عملت إرادة الرب** فأنت عندئذ فقط: **"خادم للرب"**.

◄ هل من مثال؟

◄ لقد كان بولس مثالاً رائعًا يُحتذى به لكونه إنسانًا تحت الآلام مثلنا، لقد أدرك هذه الحقيقة **أن المسيح تعيَّن من الله ليكون ربًا**، أي سيدًا على الأحياء والأموات، أي أنه يسود علينا مادمنا في دائرة الحياة، ويسود على الذين رحلوا لدائرة ما بعد الموت. لذلك أعلن هذا الإعلان:

«إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن»

(رومية ١٤: ٨).

وعليه فقد عاش كل حياته **يرفض فعل إرادته**، ليس ذلك فقط بل إنه تنبه أيضًا إلى منزلق خطير: فقد يرفض الخادم فعل إرادته لكنه ينخدع فيفعل إرادة الناس ظنًا منه أنها إرادة الرب، ولاسيما إن كان هؤلاء الناس من الإخوة أو الخدام؛ لذلك نراه في غلاطية يقول عن إخوة كذبة ابتغوا إرادته:

«الذين لم نُذعن لهم بالخضوع ولا ساعةً، ليبقى عندكم حق الإنجيل»

(غلاطية ٢: ٥).

coptic-books.blogspot.com

بل إنه أيضًا يشير إلى الأفاضل خدام الرب ورسله بالقول:

«أمّا المُعتَبَرون أنهم شيء - مهما كانوا، لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان - فإن هؤلاء المُعتَبَرين لم يشيروا عليَّ بشيء»

(غلاطية ٢:٦).

وهذا بالطبع يُحسب ليس لبولس فقط، بل أيضًا لهؤلاء الأفاضل الذين كانوا يدركون طبيعة مركزهم كخدام، فهم وإن كانوا رسلاً وأعمدة، إلا أنهم لم يزالوا عبيدًا لسيد واحد وهم يدركون أيضًا أن أخاهم هو عبد لذلك السيد، فكيف يجرئون على أن يشيروا عليه بشيء طالما أن السيد سبق وأشار عليه، لذلك بكل أتضاع أعطوه يمين الشركة.

لقد بدأ الرسول خدمته دون أن يستشر لحمًا ودمًا (غلاطية ١:١٦). بعد أن أعلن له السيد فكره، وعاش كل حياته رافعًا هذا الشعار:

«أفأستعطف الآن الناس أم الله؟ أم أطلب أن أُرضي الناس؟
فلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبدًا للمسيح»

(غلاطية ١:١٠).

لذلك **كان بولس صورة رائعة للخادم الناجح، الخاضع للرب**.

◁ هل معنى هذا أن لا يعتبر الخادم رأي إخوته حتى المعتبرين أنهم أعمدة في كنيسة الله ولا يطلب مشورتهم؟

◀ بالطبع لا أقصد هذا أبدًا، فالخادم الحقيقي هو شخص مسكين بالروح عرف فساد الجسد الذي فيه ولم يَعُد يثق البتة في حكمته الشخصية،

لذا فهو دائمًا **يحسب إخوته أفضل منه**،

وبكل اتضاع **يشعر باستحالة استغنائه عنهم**،

وعليه **فرأيهم ومشورتهم لهما قيمة كبرى عنده**،

coptic-books.blogspot.com

لكن مع كل هذا فلأنه عرف جيدًا:

- أن الوحيد الذي له حق السيادة علينا هو الذي مات لأجلنا،
- والوحيد الذي سنقدم له حسابًا عن خدمتنا هو الرب،
- ولعلمه أيضًا أن إخوته بشر قد يخطئون،
- ولعلمه أن لكل خادم عند الرب منهج تدريبي وخطة وقصد يختلف عن أخيه،

لهذا كله فهو **يأخذ** رأي **إخوته ويضعه أمام الرب**،

وهناك يظهر خضوعه في تحمله للانتظار حتى يتكلم السيد ويقول رأيه.

ويجدر بي هنا أن أذكّرك بحادثة تشرح لنا لماذا هذا التحفظ من جانب بولس من جهة رأي إخوته، لسابق خبرة مؤلمة لديه معهم! فلقد أشاروا مرة في (أعمال ٢١: ٢٣، ٢٤) أن يأخذ أربعة رجال عليهم نذر ويصعد بهم إلى الهيكل وينفق عليهم. وكان هذا التصرف بحسب رأيهم هو أفضل وسيلة لحفظ الجماعة من الانشقاق، ولفتح قلوب الإخوة الذين في أورشليم تجاه بولس. وبالطبع كان هذا الرأي ليس بحسب فكر الله على الإطلاق.

ولكن للأسف لم يتنبه بولس لذلك وكان على وشك أن يفعل أشياء مضادة تمامًا للإنجيل الذي يكرز به، لذلك تدخل الرب برحمته ومنعه من ارتكاب هذا الخطأ، وإن كان لم يمنع اضطهادًا ثقيلاً وقع على عبده المحبوب، ذلك لكي ينغرس عميقًا في قلبه الخوف، ليس فقط من رأيه بل وأيضًا من رأي الناس مهما كانوا هؤلاء الناس.

◁ وكيف يصل الخادم لحالة الخضوع الكامل للرب؟

◀ لا يختلف الخضوع عن معظم الفضائل المسيحية من حيث وجود طريقين للوصول إليها:

coptic-books.blogspot.com

أولهما:

من خلال **المكتوب والشركة العميقة مع الرب** التي تقود إلى الاستنارة، تلك الاستنارة الروحية الرائعة التي تؤثر بدورها على رؤية حائزها لكل شيء فتختلف ردود أفعاله وقراراته.

وثانيهما:

من خلال الآلام سواء كانت الآلام الناتجة عن فعل إرادتنا الذاتية كحصاد لما نزرع، أو تلك التي تجود بها يد الآب المحب للتنقية والتهذيب.

أولاً: من خلال المكتوب والشركة:

إن **كان** الخضوع الحقيقي للرب **هو ببساطة خضوع الإرادة له**

فلن ينجح شيء في قيادة المؤمن **للخضوع**،

إن لم ينجح أولاً في الوصول **لإرادته**،

وبصفة عامة هناك طريقان للوصول لإرادة الإنسان:

- إما من خلال **فكره**
- أو من خلال **عواطفه**

ولذلك فنحن نرى **روح الله من خلال المكتوب يحاول الوصول لإرادة كل مؤمن من خلال الاثنين معًا**، ذلك ليضمن الوصول لهذه القلعة الحصينة (الإرادة) والتي عاشت سنين هذا عددها مستقلة تمامًا عن الله، والتي إن تم إخضاعها، تم إخضاع كل الكيان للرب، وعندئذ فقط يصير الشخص صالحًا للاستخدام.

وسأعطيك مثالين لذلك، في كل منهما نرى الروح القدس من خلال أنفاس الله الحية في المكتوب يحاول الوصول لقلعة إرادة المؤمن عن طريق عقله وعواطفه، مع فارق أنه: **في الأول يركز على العواطف التي يؤيدها العقل،**

coptic-books.blogspot.com

وفي الثاني من خلال حسابات العقل المتأثر جدًا بجو العواطف.

١ – **في (رومية ١٢: ١-٣)** نرى الرسول

وبعد أن استعرض خلال أحد عشر أصحاحًا روعة محبة الله التي بيَّنها لنا ونحن في حالة الخطية والعداوة له،

ووصل للقمة في رومية ٨ حين تحدى أي قوة يمكنها أن تفصلنا عن محبة هذا الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا،

ثم يستعرض في رومية ١١ مقامنا الذي صار لنا على الأرض أمامه الآن كشهادة له، نحن الذين كنا قبلاً شجرة برية لا قيمة لها،

وقد فاض قلبه بالسجود لله.

إزاء كل هذا، يفترض أن القارئ قد فاض قلبه معه بالسجود لله وامتلكه الشعور بعظمة رأفات الله التي قدمت كل هذا.

فعلى الفور لا يضيّع الرسول الفرصة،

فيطرق الحديد وهو ساخن ويحاول أن ينفذ للإرادة من خلال عواطف القارئ التي التهبت بمحبة الله،

فيقول:

«فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحةً حيةً مقدسةً مرضيةً عند الله، عبادتكم العقلية».

٢ – **وفي كورنثوس الثانية ٥** نرى الرسول لا يفكر في نفسه ولا يعيش لأجل نفسه، وهذا في نظر الناس ليس إلا خللاً في العقل. لكن الرسول يشرح بالمنطق والحساب عقلانية ومنطقية تسليم الإرادة تمامًا للرب، فيقول:

«نحسب هذا: أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذًا ماتوا».

coptic-books.blogspot.com

أي أننا بدون المسيح كان ينبغي هلاكنا، لكن الآن قد ظهر هذا المحب العظيم الذي مات نيابة عنا وبموته صارت لنا حياة. إذًا **فبالحساب**:

> هذه الحياة التي أمتلكها الآن ليست لي بل هي ملك ذاك الذي احتمل الموت عني، وعليه فنحن لا ينبغي أن نعيش لأجل أنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام.

هذا هو التصرف العقلي المنطقي، إلا أنه ليس حسابًا باردًا جامدًا يجعلني أخضع في برودة وتبرُم، كلا؛ لكن لأن **محبة المسيح تحصرنا**، فإننا نفعل هذا بفرح مغمورين بدفء المشاعر.

ثانيًا: من خلال الآلام:

كثيرون منا يا عزيزي لم يدركوا – كما ينبغي الإدراك – **عمق فساد القلب** الذي فينا (إرميا ١٧: ٩)، فكثيرًا ما ترى مؤمنًا راضيًا عن نفسه مطمئنًا لها، وكأنه بمنأى عن هذا الفساد الذي نتكلم عنه، طالما أنه لا يرتكب شرًا يدينه عليه المجتمع ولا حتى المؤمنون. ومثل هذا المؤمن يجهل أمرًا خطيرًا وهو أنه:

مجرد فعل إرادته الذاتية في أي شيء
هو عين الفساد في نظر الله.

- ففعل الإرادة الذاتية في أكل ثمرة يتساوى مع سرقة جنة،
- وفعلها في مدح إنسان يتساوى مع قتل إنسان،
- وفعلها في خدمة الله يتساوى مع التجديف على الله،
- وفعلها في عبادة الله يتساوى مع عبادة الأوثان.

coptic-books.blogspot.com

وبالطبع لا يخفى عليك أن التساوي هنا:

ليس في: أثر هذه الخطايا على الإنسان والمجتمع،

لكن من حيث: جوهرها وطبيعتها ونبعها.

فالخطية التي هي المصدر والنبع لكل الشرور ومختلف أنواع الفجور، ليست أكثر من **فعل الإنسان لإرادته**.

وأعتقد أنك لم تنسَ أن:

أول عمل ظهرت فيه الخطية في آدم:

لم يكن قتل أو سرقة أو زنا،

بل أكل من شجرة محرمة.

وأن أول عمل عمله قايين:

لم يكن قتل هابيل،

بل كان تقديم قربان لله (أي محاولة عبادته)،

لكن كان طبقًا لإرادته الذاتية وليس طبقًا لإرادة الله.

قد وصف يوحنا هذا العمل بأنه عمل شرير (١يوحنا ٣:١٢)، ذلك لأن يوحنا يتكلم عن الأمور من جهة **طبيعتها وجوهرها** لا عن **أثرها**.

أي أن هذا المؤمن يُخفى عليه الفارق بين **أعمال الجسد وطبيعة الجسد**:

- أما **أعمال الجسد** فهي تلك القائمة السوداء التي سردها الرسول في (غلاطية ٥:١٩-٢١)؛ وهي:

«زنىً، عهارةٌ، نجاسةٌ، دعارةٌ، عبادةُ الأوثان، سحرٌ، عداوةٌ، خصامٌ، غيرةٌ، سخَطٌ، تحزُّبٌ، شِقاقٌ، بدعةٌ، حسدٌ، قتلٌ، سُكرٌ، بَطَرٌ»،

وهي قائمة يشمئز منها الكل حتى الذين لا يعرفون الله.

coptic-books.blogspot.com

♦ لكن **جوهر الجسد** شيء آخر، فهو أشر من كل هذه القائمة إذ هو نبعها وأصلها، فما هو إذًا؟

هو ببساطة ما وصفه الرسول بالقول:

«لأن اهتمام الجسد هو عداوةٌ لله»

(رومية ٨: ٧).

فإذا سألت مندهشًا: **مَنْ هو الذي يجرؤ على مُعاداة الله؟**

سيُجيبك الرسول بكل ثقة: **إنه الجسد، أي كيانك الفاسد الذي فيك.**

إلا أنك ستندهش أكثر إذا علمت أن:

العداوة لله ليس معناها: أنك تشهر سلاحًا في وجه الله،

كما سيفعل الوحش في المستقبل،

لكنها ببساطة هي: **أنك تعمل إرادتك الذاتية،**

فيقول عن الجسد:

«لأن اهتمام الجسد هو عداوةٌ لله، إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله، لأنه أيضًا لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله»

(رومية ٨: ٧، ٨).

هذا هو يا عزيزي مكمن الخطر، وهذا عين ما يستلزم بل يحتم الألم.

◁ هل أوضحت لي الفارق بين الجسد والإرادة؟

◀ **الإرادة:**

هي مجرد وظيفة من وظائف كيان الإنسان الداخلي كالعواطف والفكر، البعض يرجعها للنفس، والبعض الآخر يرجعها للروح.

coptic-books.blogspot.com

أما **الجسد**:

فهو الكيان البشري كله، الساقط بسبب وجود الخطية فيه (وبالطبع هذا يختلف عن الجسد الذي هو اللحم والدم)،

وعليه فالإرادة ليست شر في ذاتها، لكن الشر هو في القوة المحركة لها:

✍ فإن كانت الإرادة تتحرك وفقًا لتوجيهات الجسد،

فهي في هذه الحالة الإرادة الذاتية البغيضة أي **الخطية**،

وما ينتج عنها من قرارات أو أعمال عندئذ هي **الخطايا**.

✍ أما إن تحركت الإرادة وفقًا لتوجيهات الروح القدس،

فهذا هو **الخضوع**،

وما ينتج عن هذا من أعمال طاعة لله هي البر بعينه.

وعليه فغرض هام من أغراض معاملات الله مع المؤمن، هو تعليمه وتدريبه على فصل الإرادة عن الجسد وجعلها في خدمة الروح القدس وهذا هو الخضوع.

«لأنه إن عشتم حسب الجسد (أي كانت الإرادة خاضعة للجسد) فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد (أي إن جعلتم الإرادة في خدمة الروح القدس، عندئذ سيُحرم الجسد من استعمالها وستموت أعماله قبل أن تولد) فستحيون»

(رومية ٨: ١٣).

◁ وكيف يلعب الألم دورًا في هذه المعاملات؟

◀ في البداية يبدأ الله معاملاته مع المؤمن بأبسط أنواع الألم مثل الحرمان من الأشياء التي كان يعتمد عليها المؤمن قبل معرفته بالله ونواله الحياة الجديدة، أي عندما كان يعيش كإنسان في الجسد، كان يعتمد عليها من جهة سعادته وملء فراغ نفسه، وفي هذه الأشياء كان يتجلى فعل الإرادة الذاتية. ومن خلال

coptic-books.blogspot.com

هذا الحرمان يرسل الرب للمؤمن رسالة هامة ألا وهي: أنك الآن قد أخذت حياة جديدة لها ما يرويها، وما يرويها مختلف تمامًا عن ما كان يروي الحياة الأولى في الجسد، وعليك الآن أن تصل للسعادة والاستقرار وشبع النفس من خلال ما يروي الحياة الجديدة.

وقد ثبت بالاختبار فعلاً أن المؤمن رغم وجود أشواق الحياة الجديدة فيه إلى ما يرويها، **إلا أنه لا يجتهد في البحث عن ما يروي ظمأ أشواقها هذه إلا بعد أن يتدخل الله مانعًا عنه الأشياء التي كان يعتمد عليها كإنسان في الجسد من جهة سعادته ومحاولة ملء فراغ نفسه.**

◁ هل تعطيني أمثلة عملية لما تقصده بالمياه التي كانت ترويه كإنسان في الجسد، والمياه التي ترويه الآن كإنسان جديد؟

◀ نعم سأعطيك أمثلة لهذين النوعين من المياه في أبسط صورها:

- لقد كان يسعد ويستقر نفسيًا إلى حد كبير طالما أنه يشعر بمحبة الناس له،
  - أما الآن الحياة الجديدة فهي أن يسعد بمحبة الله له.
- كان يهنأ بتقدير الناس ومدحهم له أو إعجابهم به،
  - لكن الرب يُعلِّمه أن يجد كل سعادة واستقرار طالما يشعر برضى الرب عليه وأنه سيُكافأ أمام كرسي المسيح بكلمات المدح من السيد نفسه.
- كان يسعد ويهنأ عندما يأخذ شيئًا،
  - لكن يُعلِّمه الرب الآن كيف يسعد ويهنأ في العطاء والبذل والتضحية.
- كان يسعد قديمًا عندما يحلم بمستقبل باهر في الأرض،
  - أما الآن فهو يفرح ويفتخر على رجاء مجد الله.
- كان يسعد ويطمئن قديمًا إذا شعر بصلاح المحيطين به،
  - أما الآن فهو مطمئن تمامًا وفرحان جدًا بصلاح الله من نحوه.

coptic-books.blogspot.com

وبالطبع واضح أنه لا يستطيع أن يتحول إلى هذا النوع الجديد من المياه، والتي تسعد وتفرح النوع الجديد من الحياة، إلا عندما يصدمه الرب بصورة متدرجة بمواقف تمنع المياه عن الحياة الأولى.

◁ هل من صور كتابية توضح هذا؟

◀ نعم. أعتقد أن أجمل صورة لهذا هو ما فعله الرب مع بني إسرائيل بعد اختبارهم للخلاص العظيم، وبعد أن رنموا مع موسى ترنيمة الخلاص، يقول الكتاب في (خروج ١٥: ٢٢):

«ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور. فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء».

- لاحظ أن موسى هو الذي اقتادهم إلى هذه البرية، وكان هذا بالطبع طبقًا لفكر الله، فالله هو الذي قادهم إلى هذا المكان،
- ولاحظ رقم ثلاثة هو رقم القيامة،
- كما لاحظ أن تكرار كلمة برية مرتين،
- وأخيرًا كلمة شور والتي تعني سور، وكانت عبارة عن سلسلة من الحصون تمثل السور الشرقي لمصر الذي يفصلها عن جيرانها، وكانت أيضًا هي الطريق المؤدي إلى كنعان.

ومن هذه الكلمات يمكننا استنتاج الآتي:

إن الله بعدما خلَّص شعبه، يريد أن يُعلِّمهم أول درس:

➥ أن قيامة المسيح (المُشار إليها بثلاثة أيام) قد أسست:

عالمًا جديدًا هو عالم القيامة،

دائرة جديدة مركزها المسيح وليس آدم،

coptic-books.blogspot.com

ويسود فيها الروح القدس وليس الجسد برغباته،

وتملك فيها النعمة بالبر وليس الخطية للموت.

- هذه الدائرة يفصلها عن العالم (مصر) سور هو عبارة عن سلسلة من الحصون، ومَنْ يتخطى هذا السور سيجد الطريق المؤدي إلى كنعان، أي امتلاك كل بركة روحية في السماويات.

- على أنه بمجرد الخروج من مصر باجتياز هذا السور، سيجد المؤمن برية ليس فيها ماء، أي **سيتدخل الله بمعاملاته ليمنع عنه مصادر الارتواء التي كانت ترويه وهو في مصر (العالم)، ويحوِّل له الحياة إلى برية، لكي يتعلم عندئذ الصراخ إلى الرب**، لكنه سيختبر أيضًا صلاح الله في الاستجابة وإرواء الحياة الجديدة.

◁ هل من توضيح بمثال واقعي لهذا الأمر لكي أفهمه أكثر؟

◀ ألم تقابل يا عزيزي يومًا ما، مؤمنًا حديث الإيمان بعد فترة قصيرة من نواله الخلاص، يشكو لك منزعجًا من تغير أشياء كثيرة بداخله؛ فعواطفه قد بردت وحماسه قد فتر، ثم تجده أيضًا متبرمًا من الوضع ككل، فيشكو لك ضعف محبة الإخوة له، أو عدم تقدير المؤمنين بصفة عامة، أو واحد منهم بصفة خاصة له، أو عدم وجود خدمة في الاجتماع تستوعب مواهبه وإمكانياته؟ هذا بالضبط ما أقصده. فمنظر الفرس وراكبه مطروحًا في البحر ينعش حتى الحياة القديمة في الإنسان، إذ يملأ صاحبها بزهو الانتصار.

نعم، لقد تمتعت النفس بالخلاص، لكن هذا لا يمنع أن الحياة القديمة التي تعشق الانتصار قد انتعشت، ولذا لابد أن يقود الرب النفس إلى برية شور – أي يسمح بقطع المياه عن الحياة القديمة فتضعف قوتها ولا تقوى على إثارة عواطف المؤمن وإشعال حماسه، وكأن الرب يريد أن يقول للمؤمن:

coptic-books.blogspot.com

"لقد أعطيتك حياة جديدة ونقلتك إلى دائرة جديدة لها مصادر إنعاش جديدة، فلا تحاول وأنت في الدائرة الجديدة أن تجد نفس المسرات التي كانت حياتك القديمة تعتمد عليها"

◁ قلت أن منع المياه هو بداية، فماذا بعد هذا؟

◀ بعد هذا انتقل الشعب من برية شور حيث لا مياه، إلى مارة حيث المياه موجودة لكنها مُرّة جدًا.

◁ ما هو المعنى الروحي لمارة؟

◀ في مارة:

ليس الأمر:

مجرد حرمان من ما يُسَر وينعش الحياة القديمة،

بل فيها:

يقدم الله لها كل ما لا يتوافق مع تذوقها ورغباتها.

ولك أن تتخيل شدة مرارة هذه المياه، فالشعب بعد خروجه من شور كان قد استبد به العطش وكاد يقتله. ولو كانت هذه المياه يمكن قبولها مع أي قدر من التضحية والمُعاناة، ما كان الشعب تردد للحظة في الشرب منها، لكنه من الواضح أن مرارتها شديدة للدرجة التي جعلت شعبًا يكاد يموت من العطش لا يقوى على الشرب منها.

وهذا في الحقيقة أروع تصوير لما قد يسمح به الله لأولاده في فترات معينة من حياتهم، ولاسيما مَنْ يخدمونه. فهو **يُجيزهم في ظروف معينة هي في طبيعتها على النقيض الكامل لِما يبتغونه أو يتوقعونه**، ظروف مذاقها مُرّ للغاية لأحاسيس ومزاج المؤمن الذي يتفرد به ويجعله مميزًا عن الآخرين.

◁ هل من تطبيق؟

◀ انظر إلى إيليا، خادم الرب العظيم، وهو في صرفة صيدون، ما الذي ذهب به إلى هناك وجعله في هذا الوضع الغريب؟

coptic-books.blogspot.com

لقد كان الأمر الإلهي هكذا:

«قُم اذهب إلى صرفة التي لصيدون وأقم هناك. هوذا قد أمرت هناك امرأةً أرملةً أن تعولك»
(١ملوك ١٧: ٩).

تأمل في هذا الأمر وحاول أن تتفهم شخصية إيليا لتعرف شدة مرارة هذا الوضع بالنسبة له:

- فإن خيِّرت إيليا بين كل بلاد الدنيا ليعيش في إحداها، فهو على استعداد أن يعيش في أي بلد إلا صيدون، فملكها هو أبو إيزابل الشريرة مصدر الفساد في إسرائيل ومصدر تعاسة إيليا شخصيًا.
- ثم تخيّل إيليا نبي الله الشجاع

الذي تفوق في الجرأة والإقدام،

رجل القوة العضلية وكثرة الإنجاز،

عندما يأتيه الأمر الإلهي بالاختباء

دون عمل أو حراك

وذلك لمدة لا شهور بل سنوات!

- ولك أيضًا أن تتصور إيليا بطبعه الخشن ورجولته الشامخة، عندما يعلم أنه ليس فقط سيختبئ في صيدون لكن مَنْ الذي سيعوله؟ هي امرأة وأرملة!
- ثم تصوّر أخيرًا هذا المعتز بجنسيته وقوميته عندما تكون هذه التي ستعوله، ليس فقط امرأة وأرملة لكنها أيضًا أممية!

نعم، لقد كان كل شيء مُرّ جدًا في مذاقه – هذه هي مارة.

◁ وما هي علاقة مارة بالخضوع؟

◀ في الحقيقة يا عزيزي.. إن مارة هي أفضل وأسهل مكان نتعلم فيه

coptic-books.blogspot.com

الخضوع. فهناك في مارة:

«وضع له فريضةً وحكمًا، وهناك امتحنه»

(خروج ١٥: ٢٥).

وكان الامتحان هو: هل يخضع أم لا؟

فإن عاش المؤمن في مارة، أي في ظروف مغايرة تمامًا لمذاقه ورغباته، وكان فيها قابلاً قانعًا شاكرًا، لا لسبب إلا لأنها مشيئة الله الصالحة من جهته، فهذا هو الخضوع في أحلى صوره.

◁ وكيف يصل الله بالمؤمن لحالة القبول والاقتناع والشكر هذه؟

◀ يمكنه ذلك عن طريق:

أولاً: الصراخ:

عندما يصل المؤمن لمارة، سيكون هناك رد فعل من اثنين:

إما أن يتصرف كالشعب **فيتذمر**،

أو يتصرف كموسى **فيصرخ**.

و**التذمر** شر عندما يصدر من غير المؤمن (١كورنثوس ١٠: ١٠) «ولا تتذمروا كما تذمر أيضًا أناس منهم، فأهلكهم المُهلك» فما بالك عندما يصدر من أحد أولاد الله.

أما **الصراخ** فهو **رد الفعل المطلوب والذي يتوقعه الله**. وهذه هي الخطوة الأولى التي يصل الرب بالمؤمن إليها: **الصراخ للرب**.

ثانيًا: تحويل العين عن المياه المُرة:

يقول الكتاب إن الرب استجاب لصراخ موسى، ليس بأن غيَّر المياه أو أوجد لهم بئرًا حلوة، كلا، لكن أراه شجرة.

coptic-books.blogspot.com

أي أن الرب أراد أن يجذب نظره بعيدًا عن المياه ومرارتها وأثرها على الشعب المتذمر، لكن ما هذا الذي يقوى على جذب نظر موسى وهو في وضع كهذا. لقد استحوذت مرارة المياه على كل تفكيره. فما هو الذي يقوى على تحويل عينيه عنها؟ **إنها الشجرة.**

ثالثًا: رؤية الشجرة:

شجرة في هذا المكان؟ يا للعجب!

* هل في صحراء جرداء وبجوار مياه مُرة قاتلة يمكن أن تكون هناك شجرة؟!
* ألا تحتاج الشجرة الطبيعية لتربة أرضية صالحة تمد فيها جذورها؟
* وألا تحتاج لمياه صالحة تروي بها حياتها؟
* فكيف وُجدت وعاشت حيث لا تربة ولا مياه؟

لا تفسير لهذا إلا أن هذه الشجرة ليست من الأشجار الطبيعية التي نعرفها، فهي:

- لا تحتاج للأرض لتمد فيها جذورًا، إذ أن جذورها في السماء.
- ولا تحتاج لمياه من أسفل لتروي حياتها، إذ أن ارتواءها ينبع من فوق.

نعم، فهذه الشجرة ليست سوي رمزًا لحياة واحدة فريدة ظهرت على الأرض من ألفي عام، **حياة وُلدت وعاشت في كل ما هو مُغاير لطبيعتها.** فلقد كان صاحبها طوال الوقت:

«مُهان النفس (لا إكرام)،
مكروه الأمة (لا حُب)،
عبد المتسلطين (لا تقدير)»
(إشعياء ٤٩: ٧)،

coptic-books.blogspot.com

لقد قال عنه النبي واصفًا نظرة الله لحياته بالمقابلة مع مَنْ حوله بالقول:

«نبت قدامه كفرخٍ وكعرقٍ من أرض يابسةٍ»

(إشعياء ٥٣: ٢)،

ومع هذا إذا تأملت هذه الحياة ستجدها دائمًا: مزدهرة مُثمرة كشجرة مورقة مثمرة تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل. وكل ما تصنعه ينجح (مزمور ١: ٣).

والسؤال الآن: كيف؟

لقد عاشت هذه الحياة على الأرض،

لكن **مستقلة تمامًا عن إمدادات الأرض.**

كان يتألم للإهانة والكراهية وعدم التقدير،

لكن في ذات الوقت **ينهل من نبع سماوي يرويه.**

فلم يذبل أو يضعف أبدًا.

لقد شهد المعمدان عنه بالقول:

«الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع»

(يوحنا ٣: ٣١).

وشهد عنه بولس مقابلاً بين حياته كالإنسان الثاني وحياة الإنسان الأول بالقول:

«الإنسان الأول من الأرض ترابيٌّ، الإنسان الثاني الرب من السماء»

(١كورنثوس ١٥: ٤٧).

هذه هي حياة المسيح المورقة المُثمرة البديعة لعين التقي،

والتي يريدنا الله أن نحول أعيننا إليها عندما نكون في مارة، فنرى أن ظروفه كانت أقسى من ظروفنا. فقد كان رجل أوجاع ومختبر الحَزَن، ومع هذا لا تجده

coptic-books.blogspot.com

يومًا واحدًا فَقَد فرحه وسلامه أو طمأنينته بسبب الظروف التي يعاني منها، ذلك لأنه ينهل يوميًا بل وفي كل حين من نبع لا ينضب في السماء.

«من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس»

(مزمور ١١٠: ٧).

رابعًا: قطع الشجرة:

لقد أراد الرب من موسى أن يقطع هذه الشجرة لكي يطرحها في المياه، وهنا قد يقول قائل:

هل تُقطع تلك الشجرة وهي الوحيدة في هذه الصحراء الجرداء؟

هل تُقطع مَنْ أورقت وأثمرت وأينعت بدون تربة أو مياه؟

نعم تُقطع، لقد قال الكتاب: «يُقطع المسيح وليس له» (دانيال ٩: ٢٦)، وقال عنه إشعياء: «وفي جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء» (إشعياء ٥٣: ٨). تقُطع لا لكي تُلقى أو تُحرق كبقية الأشجار (لوقا ١٣: ٧). لا حاشا، لكن تُقطع لكي تُصلِح المياه فتروي وتنبت غيرها ملايين الأشجار، هذا ما عبّر عنه المسيح في (يوحنا ١٢: ٢٤): «الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمرٍ كثيرٍ».

وكأن الله يريد أن يقول للمؤمن في مارة:

إني أريدك أن تتغلغل في معنى موت المسيح على الصليب، بل تحمل ذات الصليب. انظر إليه قبل الصليب وهو يصلي هذه الصلاة:

«يا أبتاه، إن شئت أن تُجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك»

(لوقا ٢٢: ٤٢)،

هذا هو الخضوع في قمة استعلانه في حياة الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

خامسًا: طرحها في المياه:

طرح الشجرة في المياه هو ببساطة **مزج حياة المسيح وصليبه بظروفنا المُرة التي نجتاز فيها**. ويا له من تدريب عظيم إن نجحنا فيه، ستحدث النتيجة العجيبة، **إذ سيتغير تمامًا طعم المياه في أفواهنا**. يقول الكتاب: «فصار الماء عذبًا» (خروج ١٥: ٢٥). وعندئذ تصبح ذات هذه الظروف:

بقدر ما هي: **مصدر لإماتة الحياة القديمة**

بذات القدر تصبح: **مصدرًا لإنعاش وإرواء الحياة الجديدة.**

◁ وما معنى مزج حياة المسيح وصليبه بظروفنا المُرة؟

◀ عندما تتجه إلى الله صارخًا من ظروفك المُرة سيستجيب الله بأن:

يحوّل عينيك عن ظروفك إلى حياة المسيح كالشجرة المورقة المُثمرة اليانعة لتبهج بها أولاً عيناك، ويفرح بها قلبك. ثم يقول لك:

- **هذه هي حياتك**. إن هذه الحياة عاشت على الأرض في ظروف أقسى من ظروفك، والآن هي نفسها حياتك.
- **وتذكّر** أن هذه الحياة:

جذورها في **السماء**

ومآلها **السماء**

وارتواءها ينبع من **السماء**.

- **فارفع عينيك لأعلى ليأتيك الانتعاش وكُف تمامًا عن محاولة إنعاش حياتك القديمة بالظروف المُريحة والمسرات الأرضية**. إني قد دنت هذه الحياة القديمة في الصليب (رومية ٦: ٨)، والآن أقدم لها مياهًا مُرة لإماتتها، فلا تطلب لها مياهًا حلوة بل حوّل عينيك عنها، وهيا استقبل من الأعالي ما ينعش حياتك الجديدة،

coptic-books.blogspot.com

- ثم **انظر** إلى تلك الحياة الفريدة في قدرة تحملها للمرارة. لقد أطاعت حتى الموت موت الصليب وشربت أمرّ كأس في الوجود. فلا تستضعف أو تتراخى،

- **قُم** فحياتك هي أعظم حياة، إني أريد أن أراك:

مشابهًا لصورة ابني،

سائرًا في ذات خطواته،

محتملاً شيئًا مما احتمله،

لكي تجلس معه في عرشه.

- **وتذكّر** أن المسيح رغم مرارة الصليب، كان يجد في إتمام مشيئة أبيه سرور يهوّن أمامه حمل الصليب، فقيل عنه: «الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مُستهينًا بالخزي، فجلس في يمين عرش الله» (عبرانيين ١٢:٢).

وعندما تكون أنت في مشيئتي، سيملأك سرور من نوع جديد يقهر تمامًا مرارة الظروف المحيطة بك.

◁ لقد فهمت من حوارنا، المعنى الروحي لاجتياز الشعب المفدي في برية شور ثم في مارة. وعرفت علاقة هذه الأنواع من الآلام بالتدريب على الخضوع، لكن أود الآن أن أعرف معنى العبارات التي قيلت في هذا الصدد:

«هناك وضع له فريضة وحكمًا، وهناك امتحنه. فقال: إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك، وتصنع الحق في عينيه، وتصغي إلى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه، فمرضًا ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك. فإني أنا الرب شافيك»

(خروج ١٥:٢٥، ٢٦).

coptic-books.blogspot.com

◄ **الفريضة هي:**

ما حدده الله باعتباره الخالق كأنسب أسلوب يعيش به المخلوق.

أما الحكم فهو:

رأي الله وحكمه في الظروف المختلفة.

فهناك عند مارة، يعلن الله أن ما حدده للمؤمن من ظروف،

ضد رغباته في تلك الفترة، هي أنسب شيء له الآن؛

هذه هي الفريضة.

ثم يعلن الله رأيه وحكمه بأن الحياة القديمة

ينبغي إماتتها، والجديدة ينبغي إنعاشها؛

هذا هو الحكم.

وأمام هذه الفريضة وهذا الحكم يتم امتحان المؤمن بأمرين:

أولهما: إن كان **يسمع** لصوت الرب **ويصنع** الحق،

وثانيهما: إن كان **يصغي** له **ويحفظ** جميع فرائضه.

ويمكن تلخيص الأمر في كلمات أربع:

- يسمع
- يصنع
- يصغي
- يحفظ.

ثم يمكن أيضًا تلخيص الكلمات الأربع في كلمة واحدة هي:

- **يخضع.**

أي يمتحن المؤمن إن كان يخضع أم لا، عندما يأتي به الرب إلى مارة؟

coptic-books.blogspot.com

إن خضع كبولس قائلاً:

«لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائمًا للموت من أجل يسوع،
لكي تظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا المائت»

(٢كورنثوس ٤: ١١)،

كانت النتيجة **اختفاء الحياة القديمة وظهور حياة المسيح بروعتها** في هذا المؤمن.

وإن لم يخضع وأصرّ على إنعاش الحياة القديمة بمياه عذبة حلوة من الأرض كمياه النيل في مصر،

فعلى المؤمن عندئذ أن يعرف أن الحياة التي يعيش بها أهل مصر لها مياه ترويها، لكن أيضًا لها أمراض تُشقيها،

إن أردتم مياهها خذوها،

لكن اعلموا أنكم لابد أن تأخذوا أيضًا معها أمراضها وبالتالي شقاءها.

وإن رفضتم ملذاتها وقبلتم مارة،

فليس فقط ستظهر فيكم حياة المسيح، لكن ستنجون من أمراض مصر (المشاكل الناتجة عن فعل الإرادة الذاتية).

نعم، لن تعاني مما يعاني منه أهل هذا العالم، وهذا هو في الحقيقة الشفاء العظيم. نلاحظ أنه يقول: «أنا الرب شافيك»، وليس شافي المياه. فأنا وأنت اللذين نحتاج للشفاء:

الشفاء من فعل الإرادة الذاتية،

وذلك بالعيش في خضوع لله.

الشفاء هو اختفاء الحياه القديمة وثمارها المُرَّة

وظهور حياة يسوع فينا.

coptic-books.blogspot.com

◁ هل هناك علاقة بين مارة وإيليم؟

◄ نعم و إلا ما أتت إيليم بعد مارة مباشرة.

في إيليم نجد:

مياه مُنعشة من **اثنتي عشر** عين ماء عذبة،

وطعام مغذي رائع في الصحراء هو التمر من **سبعين** نخلة زاهية.

وهذه صورة لإنعاش خاص يأتي من الله لمَنْ ينجحون في امتحان مارة. إنعاش وغذاء يأتي للناجحين، من خلال خدام الرب المرسلين منه والذين يُشار إليهم بالرقمين ١٢، ٧٠. فالرب في إرساليته الأولى، أرسل ١٢ (متى ١٠:٥)، وفي الثانية أرسل ٧٠ (لوقا ١٠:١)،

أي أن الرب يضمن للخاضع لمشيئته تشجيعًا خاصًا يوصله إليه من خلال أحد خدامه. فقد جاء للمسيح وهو في البستان ملاك من السماء ليقويه، وبولس يقول:

«الله الذي يُعزي المُتَّضعين (الخاضعين) عزانا بمجيء تيطس» (٢كورنثوس ٧:٦).

هكذا يا عزيزي يُنتج الألم أعظم ثماره في حياة الخادم؛ الخضوع. وأثناء الخضوع لا يُحرم الخادم من مشجعات إلهية مُنعشة.

◁ لقد قلت أن مارة هي أفضل وأسهل مكان نتعلم فيه الخضوع. فهل تقصد بهذا أن هناك أماكن أخرى أصعب نتعلم فيها الخضوع؟

◄ نعم فمَنْ لا يتعلم الخضوع في مارة، سيتعلمه رغمًا عنه في مخاضة يبوق. لكي يمكنك فهم مقصدي، أوَد أن تفتح كتابك وتقرأ (تكوين ٣٢:٢٢-٢٨).

coptic-books.blogspot.com

وفيه نقرأ عن قصة تبدو كالخيال والأساطير، إلا أن كلمة الله الصادقة لا تسجل لا خيال ولا أساطير، لكن حقائق صادقة وأكيدة. فقد أتى الرب نفسه في صورة إنسان ليلتقي بعبده يعقوب، ويبدو أن يعقوب كان قد عبّر كل الذين معه قدامه، أراد هو أن ينفرد بالله لكي يسكب مخاوفه قدامه،

لكنه فوجئ، ويا لهول المفاجأة، بالرب نفسه يظهر له في صورة إنسان، لا ليشجعه ويطمئنه كما عوّده، لكنه أتى لكي يصارعه.

ويا للغرابة أيضًا! فهل الرب في احتياج لمصارعة إنسان إذا أراد أن يغلبه؟ ألا تكفي كلمة واحدة من فم الخالق القدير لكي تدمر هذا الكائن المسكين تدميرًا؟

لكن الأعجب والأغرب أنه احتاج أن يصارعه حتى طلوع الفجر!

نعم. إنها قصة أغرب من الخيال، ولهذا نحتاج أن نفهم أبعادها في نقاط محددة لنعرف علاقتها بالخضوع.

◁ كيف قاد الرب يعقوب للخضوع له؟

◀ أعتقد أننا نحتاج للتأمل في بعض النقاط في حياة يعقوب لكي نعرف كيف استطاع الرب إخضاع إرادته له.

أولاً: محبة الرب له:

ربما لا نجد شخصًا في كل الكتاب، باستثناء المسيح طبعًا، أعلن الله عن مشاعر حبه وإعزازه له، مثلما نجده مع يعقوب. **فقد قيل عنه:**

«وجده في أرض قفرٍ، وفي خلاءٍ مُستوحشٍ خربٍ. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه»

(تثنية ٣٢: ١٠).

coptic-books.blogspot.com

وقيل له أيضًا:

«لا تخف لأني فديتك. دعوتك باسمك. أنت لي... إذ صرت عزيزًا في عينيَّ مُكرَّمًا، وأنا قد أحببتك»

(إشعياء ٤٣: ١، ٤)،

«أحببت يعقوب»

(ملاخي ١: ٢).

وهذه المحبة المتدفقة من قلب الرب ليعقوب تساعدنا على فهم حقيقتين:

أولهما:

أن المحبة هي الدافع الوحيد الذي يدفع الرب لإخضاعنا له،

ذلك لكي ينقذنا من النتائج المدمرة لفعل إرادتنا الذاتية،

ولكي نحصد السعادة والفرح والنجاح المرتبطين بفعل إرادته.

وثانيهما:

أن الآلام الكثيرة التي نتألم بها في طريق إخضاعنا لله:

لا تعني أبدًا أننا بلا قيمة في عيني الله،

أو أنه نسينا أو تخلى عنا،

بل في الحقيقة هي تعني العكس تمامًا،

فهو لفرط اهتمامه بنا يسمح حتى بإيلامنا لخيرنا.

ثانيًا: شخصية يعقوب:

لقد اتسمت شخصية يعقوب من ضمن ما اتسمت به بأمرين في منتهى الخطورة على حياة المؤمن إذ يعطلان بشدة خضوعه لإرادة الله:

الأمر الأول هو:

لقد كان يعقوب إذا ما رغب في شيء ونوى الحصول عليه، يستحوذ هذا

coptic-books.blogspot.com

الشيء على تفكيره، ويدفعه دفعًا لتحقيقه، ولا مانع عنده حينئذ أن يسلك أي طريق للوصول إليه، حتى وإن كانت هذه الطرق جسدية بغيضة في عيني الله،

مع العلم أن كثير من هذه الرغبات التي رغب فيها لم تكن شرورًا، بل على العكس كانت مواعيد سبق الله ووعده بها،

إلا أنه لم يكن ينتظر الرب ليرتب ويدبر وينجز طبقًا لطرقه الصالحة ومواقيته التي لا تخطئ،

لكن على العكس، وللأسف، كان هو الذي يرتب ويدبر، أي كان هو المدير الفعلي لحياته مستبعدًا الله تمامًا من عملية الإدارة.

وأعتقد أنه من المناسب هنا أن نذكر أن اسم إسرائيل، الذي أعطاه الرب له بعد صراعه معه وخلع حُق فخذه، يتكون من مقطعين «إسرا» وتعني يجاهد ويأمر أو يدبر، «إيل» وتعني الله، عليه يمكننا القول إن كلمة إسرائيل تعني، من ضمن ما تعني، أن **الله هو الذي يُدبر ويُدير.**

وبالطبع كان لابد من توافر شيء من الإمكانيات البشرية التي تساعده على تحقيق رغباته هذه، خاصة في ظل استقلاله عن الله. وقد كانت بالنسبة ليعقوب متوفرة في ذكائه البشري بإفرازاته المتنوعة:

- فعندما رغب في البكورية، ظهر الذكاء في عملية استغلال الفرصة التي قد لا تُتاح مرتين للإنسان، فاستطاع شراء البكورية بأكلة واحدة (تكوين ٢٥: ٣١-٣٤)!!
- وعندما رغب في البركة، لجأ للنصب والاحتيال على أبيه (تكوين ٢٧: ١-٢٩).
- وعندما رغب في الحصول على رضا عيسو أخيه، لجأ للنفاق والمداهنة (تكوين ٣٢: ١٣-٢٩؛ ٣٣: ١-١١).
- وعندما خاف من العيشة مع عيسو وأراد عدم الدخول في شركة معه، لجأ للكذب والخداع (تكوين ٣٣: ١٢-١٧).

coptic-books.blogspot.com

وهكذا يتضح أمامنا أن الكثير من رغباته مشروع،
إلا أن الوسائل كانت حقيرة وشريرة.

قد كان يتضح في الرغبات العنصر الإلهي،
أما في الوسائل، فلا نرى سوى
العنصر البشري في أحط حالاته.

ومن هذه السبيكة الغريبة تتضح معالم شخصية يعقوب.

أما **الأمر الثاني** الذي اتسمت به شخصية يعقوب، واحتاج لمعاملات إلهية طويلة لتعليمه الخضوع لله فهو:

أنه في أحيان كثيرة كان يعرف ماذا يريد منه الرب بوضوح، إلا أن **طاعته للرب عندئذ كانت مشروطة بأن يتوافق ما يريده الرب منه مع ما يرغب فيه هو.** انظر مثلاً الأمر الإلهي له في (تكوين ٣١:١٣):

«أنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودًا، حيث نذرت لي نذرًا.
الآن قُم اخرج من هذه الأرض وارجع لأرض ميلادك».

فلقد كان الأمر الإلهي هنا واضح المعالم ومحدد في ٣ نقاط:

- ✧ الخروج من عند لابان،
- ✧ الخروج الآن،
- ✧ والرجوع إلى أرض الميلاد، وبصفة خاصة بيت إيل لكي يفي بنذره حيث العمود الممسوح.

ولقد وجد الشقان الأول والثاني هوى في نفس يعقوب، إذ أنهما في تمام التوافق مع رغباته، لذلك نفذّهما حالاً، إلا أن الشق الأخير لم يجد هوى في نفسه فلم يُطِعه، لذا ارتحل إلى سكوت وبني لنفسه بيتًا هناك وصنع لمواشيه مظلات، ثم سكن بعدها في شكيم وحصد هناك المرار حتى خضع بعدها وذهب لبيت إيل (تكوين ٣٣-٣٥).

coptic-books.blogspot.com

ثالثًا: نفسية يعقوب:

ربما نستطيع بشيء من التحليل أن نعرف شيئًا عن الأسباب التي جعلت شخصية يعقوب تتسم بهذه العيوب، حتى يكون لنا بمثابة تحذير من بعض الأمور التي نتعرض لها وتأثيراتها على شخصياتنا.

وبالطبع لا اختلاف على أن الطبيعة الساقطة التي فينا هي مصدر كل العيوب، إلا أن هناك بعض الظروف العائلية أو أساليب خاطئة في التربية قد تساعد على تضخيم وإظهار هذه العيوب:

- فلقد ارتبطت حياة يعقوب، من البداية، رغمًا عنه، بحياة عيسو أخيه، وواضح أنه حتى من الرحم **تميُّز عيسو بالقوة العضلية والجاذبية للعين البشرية** عن يعقوب، هذا أعطى تفوقًا وتميُّزًا لعيسو، إلا أنه في ذات الوقت **ملأ يعقوب بالشعور بالنقص**. فلقد كان دائمًا يشعر بتفوق عيسو عليه، وبينما كان عيسو يصول ويجول مقتحمًا البراري والصحاري مقتنصًا صيده، انزوى يعقوب في بيته، يجتر آلام الشعور بنقصه عن أخيه.

- ومما زاد المشكلة وعقّدها هو **تصرف إسحاق غير الحكيم؛ إذ أنه أحب عيسو** لأن في فمه صيدًا من صيد ابنه. ويقينًا كان لا يكف عن مدح ابنه البكر وإظهار تفوقه، هذا جعل يعقوب في صراع دائم مع أخيه، بل ومع الكل، بل ومع نفسه راغبًا في التفوق ولو مرة. وإذا كان من المستحيل التفوق في مجال الصراع البدني، لتفوق عيسو عضليًا عليه، لجأ إلى الصراع الذهني؛ محاولاً أن يتفوق على أخيه بذكائه لا بعضلاته. ومن هنا **تعلّم الخداع والكذب والاحتيال وانتهاز الفرص.**

وقد كان جدير بيعقوب، في هذا الوضع، أن ينظر ولو نظرة خاطفة إلى مواعيد الله العظيمة من جهته، وبركاته الغامرة التي أعدّها له لكي يشبع ويكتفي ولا يشعر بأي نقص، وينأى بنفسه عن أي صراع، مستمدًا شعوره بقيمته من تقدير الله ومحبته له.

coptic-books.blogspot.com

☜ وكما كان لتصرف إسحاق دورًا في إظهار العيب الأول، فقد كان لرفقة دورًا في إظهار العيب الثاني:

فربما من باب الشفقة على يعقوب، الأضعف بدنيًا،

زادت من اهتمامها بيعقوب،

وربما أيضًا من باب محاولة تعويضه عن مبالغة أبيه في الاهتمام بعيسو،

بالغت هي أيضًا في اهتمامها به،

مما أدى إلى تدليله (التدليل ببساطة هو: عدم تعليم الطفل تأجيل رغباته، وتلبية كل ما يرغب فيه) مما جعله بعد هذا **لا يستطيع التضحية برغبة يشتهيها حتى إن كانت تتعارض مع فكر الله، وهذا جعل طريق الطاعة والخضوع لله صعبًا عليه للغاية.**

والآن بعد هذه الخلفية، يمكننا معرفة سياسة الرب في الوصول بعبده للخضوع الكامل ودور الألم فيها.

coptic-books.blogspot.com

الفصل السابع

الألم والإفراغ

لن تغيب الشمس أبدًا عن حياة يديرها الله، ولن تحرم من الدفء، أبدًا حياة تستند على الله.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

لقد توقفنا في حوارنا السابق عند شخصية يعقوب، وأبحرنا قليلاً في خضم هذه الشخصية الذاخرة، وتوقفنا عند بعض عيوبها، تلك التي أعاقت خضوعها لله، **هذه العيوب التي يمكن إجمالها في نقطتين:**

١ - عجزه عن التنازل عن رغباته، أو حتى مجرد تأجيلها، فهو يتعقب رغبته حتى يصل إليها فيقبض عليها (يعقوب) (تكوين ٢٥: ٢٦؛ ٢٧: ٣٦).

٢ - استناده التام على ذكائه بإفرازاته المتنوعة من مكر وحيلة ودهاء، وعلى الرب لم يعتمد (الماكر) (تكوين ٢٧: ٣٥).

ثم حاولنا الغوص قليلاً في أعماقها، لكي يمكننا رؤية البيئة التي نبت فيها، والتي ساهمت في إبراز هذين العيبين أو تضخيمهما.

والآن أراه مناسبًا أن نعاود الإبحار معًا إلى نقطة أبعد في خضمها، لنرى كيف تعامل الله مع هذه الشخصية الصعبة المراس، ليعالجها ويقودها من خلال الألم للتسليم والخضوع له، **وسنتوقف عند نقطتين:**

أولاً: عند هذا المشهد الليلي التصويري الغريب

عندما صارعه إنسان حتى طلوع الفجر،

وثانيًا: عند بعض أحداث حياته الواقعية

والتي قاده الله من خلالها للتسليم والخضوع له.

المشهد التصويري: (تكوين ٣٢: ٢٢-٣٢)

ولقد وصفته بالتصويري لأن ما حدث في تلك الليلة عند مخاضة يبوق ما هو إلا تمثيل دقيق وتجسيد حي بديع لأسلوب الله مع يعقوب، ويعقوب مع الله لحقبة طويلة من حياته. والآن دعنا نحلل هذا المشهد إلى عدة نقاط:

١ - صارعه إنسان

لقد ظهر له الرب – وهو القدير العظيم – كإنسان، ولنا في هذا درس هام:

coptic-books.blogspot.com

أولاً: ليُعلِّمنا أن الله رغم أنه العلي والقدير إلا أنه ليس ذلك الشخص الذي لا يعبأ بالتصرفات الصغيرة التي تصدر من المؤمنين، لكنه يظهر كإنسان يصارع يعقوب ليعلن له ولنا مدى تأثره ورفضه لأسلوب حياته للحد الذي جعله يصارعه.

ثانيًا: أنه في معاملات الله معنا لإخضاعنا لا يستخدم القوة الإلهية لإجبارنا على الخضوع من البداية، لكنه يعطي الظروف والأحداث فرصتها لتُعلِّمنا نتائج أفعالنا، ولا يُظهر قوته الإلهية إلا في النهاية ليقصر فترة صراعنا. **إنه يترك الحياة تعتركنا بقسوتها ويتركنا أحيانًا لنحصد ما زرعنا**، مع أنه كان قادرًا في كل أحوال الحياة أن يُظهر القوة الإلهية من البداية ليُخضعنا له.

ثالثًا: بالتأمل في تاريخ الإنسان ككل نرى أنه لم يحل مشكلة الإنسان ولم ينهِ الله الإنسان العتيق إلا بظهور المسيح في الجسد كإنسان.

٢- صارعه

هذا يصوِّر لنا نوع العلاقة بين الله ويعقوب:

فهي لم تكن علاقة الخل الحبيب لخليله كإبراهيم،

ولم تكن علاقة العبد المطيع لسيده كإسحاق،

بل علاقة المصارع العنيد بغريمه.

ولسنوات طويلة لم يكن الحوار بين يعقوب والله وبين الله ويعقوب هو حوار الكلمة الهادئة أو المشاعر الجميلة، بل كان حوار العضلات!!

وكم من مؤمنين عندما تستعرض حياتهم، تستغرب من كم المفاجآت السخيفة التي فاجأتهم بها ظروف الحياة، وكم الآلام والإحباطات التي اجتازوا فيها، بل والأيام المظلمة التي عبروا خلالها، وغالبًا لا نجد تفسيرًا لكل هذا الكم من الفشل والإحباط والألم، إلا أنهم كانوا في حوار العضلات مع الله، وبالطبع لا يصعب على أي واحد منا أن يتنبأ بنتيجة هذه المباراة. فلابد أن تكون النُصرة لله والهزيمة

coptic-books.blogspot.com

للمؤمن، وهذا في الحقيقة من حُسن حظ المؤمن، **إذ من رحمة الرب به أن لا يتركه ينتصر، بل يُصِّر الرب على أن يهزمه ويقوده للخضوع له.**

٣- في تلك الليلة

لقد تم الصراع في ليلة حرفية، إلا أن هذا تصوير دقيق لأي فترة من الحياة لا يكون فيها المؤمن خاضعًا لله، بل على العكس في صراع معه. لقد عبَّر أحد المؤمنين عن فترة من حياته انقطعت فيها شركته مع الله بالقول:

إذ لا أرى وجه الحبيب فالنور عندي كالظلام

والشمس تبدو في المغيب محجوبة خلف الغمام

أي أن مجرد انقطاع الشركة مع الله ليل، فماذا يكون الصراع مع الله إلا ليلاً أشد ظلامًا؟

٤- بقي يعقوب وحده

لقد كان يعقوب منفردًا في صراعه مع الله، وكان الله أيضًا منفردًا في صراعه مع يعقوب، أي أن المشكلة الحقيقية كانت بين يعقوب والله،

وليست بين يعقوب والناس، لابان أو عيسو أو أهل شكيم،

ولا كانت بينه وبين الظروف؛

لكنها بينه وبين الله وحده.

وكم هو حريٌّ بكل مؤمن يعاني ويتألم من الناس أو الظروف أن يكف عن الصراع معهم، ويعرف أن مشكلته الحقيقية هي مع الله، وعندما يسوِّي المؤمن مشكلته مع الله وينهي صراعه معه، عندئذٍ لن يكون له صراع مع الناس أو الظروف. فما كان أذى عيسو أو لابان إلا أدوات صراع الله مع يعقوب،

coptic-books.blogspot.com

وعلى العكس من هذا، أحيانًا يحاول بعض الأحباء مساعدة مؤمنًا لتحقيق رغباته الذاتية، فما يكون عملهم هذا إلا دفعًا للمؤمن لمزيد من الصراع مع الله. هذا ما عملته رفقة مع يعقوب، وعليه كم هو جميل أن يبقى يعقوب وحده بعيدًا عن الناس الذين يصارعهم، وأيضًا بعيدًا عن أي مُحِب له يحاول مساعدته في صراعه.

٥ - رأى أنه لا يقدر عليه

يا للعجب.. مَنْ الذي لم يقدر على مَنْ؟ الله لم يقدر على يعقوب!! ألا يعطينا هذا فكرة عن **عناد الجسد** الذي فينا، ومدى عنفوان وصلابة **استقلاله عن الله**، حتى أن الله لم يقدر عليه، وبالطبع عدم القدرة هنا هو عدم القدرة من خلال الوسائل التهذيبية الحُبية، والوسائل الإصلاحية، ولكن لابد في النهاية أن يقدر الله عليه، إلا أن هذا كان من خلال القضاء والدينونة، من خلال الضرب والخلع.

نعم.. لم يكن هناك أي أمل في إصلاح الجسد وإعادته للاتكال على الله (رومية ٨:٧، ٨)، فقد استنفذ الله كل الوسائل في كل التدابير ولم يقدر عليه،

وكان لابد في النهاية من الصليب حيث تم هناك الضرب والخلع. **فهناك أعلن الله أنه لم يعد عنده أية وسيلة لإصلاح الجسد**، إنه لا يقدر عليه، ولابد من الدينونة بالخلع،

وليُدخل في المشهد، بقيامة المسيح إنسانًا جديدًا، كل من رآه قَبِل بسرور أن يخلع العتيق ويلبس الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (كولوسي ٣:٩، ١٠؛ أفسس ٤:٢٢، ٢٤).

٦ - حتى طلوع الفجر

لقد استمر الصراع ليلة بأكملها، أليس هذا بغريب! ألم يكن الله قادرًا على

coptic-books.blogspot.com

حسم هذا الصراع بلمسة خفيفة من البداية، بل بكلمة واحدة من السماء؟ بالطبع كان قادرًا، إلا أنه قصد أن يُرينا طول مدة صراع المؤمن مع الله،

- ✧ فليس من البداية يقتنع المؤمن بفساد الجسد (رومية ٧: ٢٤).
- ✧ وليس من البداية يتعلم المؤمن عدم الاتكال على الجسد والاتكال على الله.

قد يستمر الصراع عشرين سنة أو أكثر كما هنا مع يعقوب، أو أربعين سنة كما مع موسى. نعم تختلف المدة من مؤمن لمؤمن، إلا أنه مع الكل كان صراعًا طويلاً، فالقول:

«نحن الختان، الذين نعبد الله بالروح، ونفتخر في المسيح يسوع، ولا نتكل على الجسد»
(فيلبي ٣: ٣)

هو قول الآباء وليس الأطفال.

كما أن طول مدة هذا الصراع يُرينا طول أناة الله في احتماله لجهلنا وعدم تسليمنا وخضوعنا له. **فهو يظل يحاورنا ويصارعنا حتى يستنفذ كل قوانا وأفكارنا ويضطرنا في النهاية بالتسليم له**، عند ذاك لا يعاملنا معاملة المهزومين مع أننا كذلك، إلا أنه في سمو وترفع يعتبرنا منتصرين:

«جاهد مع الملاك وغلب»
(هوشع ١٢: ٤).

٧- مخاضة يبوق

لقد كان هذا هو مكان الصراع.. وكم هي جميلة كلمة الله، إذ يُجيبنا معنى كلمة يبوق عن سؤال هام ألا وهو:

على أي شيء دار الصراع؟

coptic-books.blogspot.com

فالبعض يتصور أن الصراع كان من جانب يعقوب ليحصل على البركة من الله، لكن مَنْ يقرأ الحادثة بدقة سيفهم أنه:

- **ليس يعقوب الذي صارع الله ليأخذ بركته**
- **بل إن الله هو الذي صارع يعقوب؛**

ليأخذ منه قوته،

ويستأصل منه اتكاله على ذاته،

ويفرغه من كل ثقة في الجسد.

وهذا ما يوافقه تمامًا معنى كلمة يبوق والتي تعني:

he will be emptied أي سيُفرَغ،

وفي قاموس آخر تعني:

"استأصل ليحل محله"،

وهذا عين ما حدث هنا إذ كان الله يستأصل من يعقوب قوته ليحل هو فيه بقدرته، يُفرغه من الاتكال على الجسد ليملأه بشعور الضعف الذي يجعله مسكينًا بالروح مستندًا على الله (٢كورنثوس ١٢: ٩، ١٠).

٨- خلع حق فخذه

كانت هذه هي الوسيلة التي استعملها الله أخيرًا ليُنهي هذا الصراع الذي طال، فيا تُرى ماذا يعني خلع حق الفخذ؟ إن حق الفخذ هو مفصل الفخذ (hip joint) وهو أهم مفصل يجعل الإنسان ينتصب واقفًا ويمشي معتدلاً، فهو المفصل الذي ينقل ويلقي كل ثقل بالجسد على الرِجْل لكي تحمل صاحبها، وبدونه ليس فقط لا تستطيع الرِجل أن تحمل صاحبها، بل تصبح هي نفسها ثقلاً على صاحبها عليه أن يحملها، **وعندئذٍ لابد لهذا الإنسان من آخر يستند عليه**، فمخلوع الحق لا يقدر أن يسير بمفرده، لكنه يحتاج لآخر.

coptic-books.blogspot.com

٩- أطلقني ... لن أطلقك

مع نسمات الفجر المُنعشة، وضوءه المطمئن، أجرى الله امتحانًا ليعقوب ليرى هل فهم الدرس أم لا؟ أو قُل هو اختبار أجراه الجرَّاح لمريضه ليرى هل نجحت العملية أم لا؟ فقال له: «أطلقني»، أي أن الرب كان يريد أن يعرف مِن يعقوب:

- هل يستطيع يا تُرى أن يسير بعد اليوم بمفرده؟
- هل يستطيع أن يخطط لنفسه كما كان يفعل من قبل مستندًا على ذكائه ومكره؟
- هل سيتخذ قراراته بنفسه لنفسه؟
- أم أنه سيظهر احتياجه لله؟

وفي الحقيقة كان النجاح عظيمًا، إذ نرى يعقوب قد **تحول من مُصارع رهيب إلى غريق مسكين، يتشبث بمن يحاول إنقاذه** بل يبكي أمامه ويسترحمه (هوشع ١٢: ٤) قائلاً له:

"لا أطلقك إن لم تباركني"،

وعندئذٍ أعلن الرب نهاية المباراة، ورفع يد يعقوب على الحلبة مُعلنًا فوزه الكبير مسجِّلاً هذه العبارة الخالدة:

«جاهد (صارع) مع الملاك وغلب»

(هوشع ١٢: ٤).

١٠- ما اسمك؟ اسمي يعقوب

ما أجمل إلهنا،

وما أرق معاملاته،

وما أحكم أساليبه!

ألم يكن يعرف اسم يعقوب؟

ألم يشرح تاريخه وهو بعد في بطن أمه؟

coptic-books.blogspot.com

نعم كان يعرف، لكنه أراد أن يصل بيعقوب إلى اعتراف مختصر، لكنه شامل، بنقاط ضعفه وعيوبه، وكأنه يقول له: إن كل مشاكلك تقبع في معنى اسمك، وقد سأله عن اسمه وكأنه ينتظر أن يُجيب يعقوب بالقول:

«اسمي (بكل أسف) يعقوب»
فأنا الذي أتعقب رغباتي حتى أنجزها،
وأنا الذي أحاول أن أقبض على زمام الأشياء بحكمتي، لأجعلها تنجز رغباتي.
ها إني أعلن فشلي.

١١ - اسمك إسرائيل

عند هذه النقطة، غيَّر الرب اسمه، هذا يعني أن المستقبل سيُرينا شخصية أخرى مختلفة تمامًا عما مضى، فلن يعود يعقوب بل إسرائيل. كلمة إسرائيل تتكون من مقطعين: إسرا وإيل. وإسرا تعني: **إدارة**، وإيل تعني: **الله**.

كأن الرب يريد أن يقول:

"يعقوب.. لقد عشت كل حياتك تجاهد مع الناس ومع الله (كلمة يجاهد ويصارع في العبرية كلمة واحدة وهي إسرا وتعني يدير أو يأمر) وقد قدرت، ذلك لأنه كان لك من القوة ما يمكنك من الإدارة ويعينك على الصراع،

لكن الآن وبعد أن صرت مخلوع الحُق، **سيتسلم إيل الإدارة وستصبح أنت لا الآمر بل الأمير أي الذي تأمر بأمر إيل**، ولن تعود حياتك تُدار لحسابك بعد اليوم، بل ستُدار لحساب إيل".

coptic-books.blogspot.com

وهذه هي البركة الحقيقية في الحياة، لذلك يقول: «**باركه هناك**». فهناك فقط في مخاضة يبوق تأتي البركة، وكم أشتاق من كل قلبي أن يدرك كل مؤمن هذه الحقيقة:

- أنه لن يعرف معنى البركة

إلا بعد أن يتنازل عن إدارة حياته ويسلمها لله.

- ولن تصبح للحياة معنى

إلا عندما تكون استثماراتها لحساب الله.

١٢- أشرقت له الشمس وهو يخمع

لقد خسر شيء وربح كل شيء.

- **لقد خسر قدرته**: إذ أُفرغ منها في مكان الإفراغ (يبوق)، وسيصبح من الآن أعرج لا يستطيع السير إلا مستندًا على آخر، هذا ما خسره.
- **إلا أنه ربح كل شيء**: إذ أن هذا الآخر الذي سيستند عليه ليس هو إلا الله نفسه. فيا لعظمة ربحه، نعم، فمَنْ يسير مستندًا على إيل، حتمًا سيكون أميرًا.

هناك أشرقت له الشمس، فمَنْ يدير له الله حياته، لن يزعجه ظلام، لن تحجب وجه الله عنه غيوم،

نعم، لن تغيب الشمس أبدًا

عن حياة يديرها الله،

ولن تُحرم من الدفء أبدًا

حياة تستند على الله،

ولذا كان جميل من إسرائيل أن يدعو اسم ذلك المكان "فنيئيل" أي وجه الله. لقد تحولت يبوق إلى فنيئيل. فحيث الإفراغ يوجد الإخضاع وعندئذٍ يُشرق وجه الله.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثامن

الألم
والمرونة والصلابة

كم يحتاج كل مؤمن في حياته ان يكون قادرًا على تحمل الضغوط: مرنًا نفسيًا، فلا يكل وينقصف، وصلبًا فلا ينحني وينكسر.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

عدت – بعد انقطاع – ليتصل حواري مع صديقي، فابتدرني متسائلاً:

◁ لقد فهمت من حواراتنا السابقة الدور الكبير الذي يلعبه الألم في إعداد وتجهيز المؤمن للاستخدام الإلهي، ليكون نافعًا ومستعدًا لكل عمل صالح، وعرفت أن للألم دور في إيجاد فضائل ومؤهلات رائعة كالقداسة والشركة والقوة والخضوع. فهل لديك من مزيد؟

◀ لا شك أن منتجات الألم وبركاته في حياة المؤمن كثيرة وإلا ما كان الله يسمح به لأولاده، وأود أن أحدثك هذه المرة عن واحدة من أهمها ألا وهي: **المرونة والصلابة**.

◁ يقول الكتاب في (رومية ٥: ٣): «الضيق ينشئ صبرًا». فما هو هذا الضيق الذي ينشئ صبرًا؟ وما المقصود بالصبر كما جاء في (رومية ٥: ٣)؟

◀ هناك أكثر من كلمة في اللغة اليونانية تُعبر عن الألم والوجع والشدة والضيق ومن أكثرها استعمالاً في العهد الجديد كلمة Thelipis وهي طبقًا لقاموس Vine مشتقة من فعل يعني **يضغط**،

وعليه يصبح قصد **الروح** القدس في (رومية ٥: ٣) عندما يقول أن «**الضيق ينشئ صبرًا**» أن:

الضغط على المؤمن ينشئ فيه صبرًا.

وليس بالضرورة أن يكون ما يضغط عليه تجربة كبيرة أو بلوى محرقة، بل ربما مشاكل صغيرة إلا أنها تمثل عبئًا نفسيًا على مشاعره، ربما بسبب استمرارها أو تكرارها أو طبيعة المؤمن نفسه وحساسيته ضد مشاكل معينة، وقد تكون في نظر واحد آخر من المؤمنين أشياء تافهة إلا أنها ليست كذلك لمَنْ يعاني منها بل هي بالنسبة له ثقلاً يجثم على صدره يتمنى الخلاص منه.

◁ هل من أمثلة؟

◀ بالطبع، لا حصر لأنواع وأشكال ما يمكننا أن نسميه ضغوط والتي يتعرض لها كل واحد من أولاد الله؛ فالوادي الذي نعبره دعاه الكتاب وادي البكاء

coptic-books.blogspot.com

بل وادي ظل الموت. إلا أنني يمكنني أن أشير إلى بعض الأنواع الرئيسية:

١- ضغوط بسبب المرض

قال الكتاب عن هذا الجسد «الجسد (مائت) بسبب الخطية» (رومية ٨: ١٠)، أي أنه في طريقه للموت. وفي طريقه للموت يشيخ ويكل ويتحلل ويتكسر. ومن منا ينكر كم الشعور بالضغط النفسي الذي يعانيه المريض أو مَنْ حوله؛ فكثيرًا ما يعاني مَنْ هم من حول المريض من أعباء نفسية وأثقال تنوء بها الجبال لا تقل عن ما يشعر به المريض نفسه، وفي بعض الأحيان تزيد.

٢- ضغوط مادية

لقد وعدنا الرب أن يملأ كل احتياجنا وهو فعلاً وبالحق يفعل، لكنه لا يعترف بسياسة الوفرة، بل كثيرًا ما يتركنا نُضغط حتى نصلي ونطيع المكتوب «لتُعلم طلباتكم لدى الله» ثم يملأ هو الاحتياج.

ومع دخولنا في عصر العولمة المرعب، صارت الضغوط المادية تطحن الغالبية العظمى من الناس وصارت متطلبات الحياة التي تفرضها طبيعة العصر ثقيلة للغاية، وأصبح كل رب أسرة أو حتى شاب يرغب في تكوين أسرة يرزح تحت ثقلها.

٣- ضغوط عصرية

وصف الرب يسوع الأيام التي نعيشها بأن الناس فيها يعانون من مشاكل بلا حل؛ إذ يقول:

«وعلى الأرض كرب أمم بحيرة»

(لوقا ٢١: ٢٥).

فلقد كان التغيير في طبيعة وأسلوب الحياة في العصور القديمة بطيء جدًا، أما في عصرنا الحاضر فالتغيير سريع للغاية، وما يحتاج إلى بضعة قرون في الماضي لكي يتغير صار الآن يتغير في بضعة سنوات. والمرعب أن التغيير فيما

coptic-books.blogspot.com

تملك أو في أسلوب حياتك يفرضه عليك العصر فرضًا، ونادرًا ما يكون لك حرية الاختيار. ولا ينكر أحد أن التغيير في حد ذاته عبء وضغط، فماذا لو كان بهذه السرعة سوى عبء لا يُحتمل؟

٤- ضغوط روحية

قال الرب يسوع لتلاميذه:

«في العالم سيكون لكم ضيق»

(يوحنا ١٦: ٣٣).

وهذا بلا شك شيء متوقع:

- فكيف يعيش المؤمن في عالم موضوع في الشرير دون أن يكون متضايق؟
- كيف يجتاز في عالم البغضة والظلم والنجاسة والشراسة دون أن يشعر بأن شيء يضغطه ويثقل كاهله؟

هذا بالإضافة إلى أن الطبيعة الجديدة لا تجد ما يشبعها في كل ما حولها، والروح القدس ما أسهل أن يحزن بسبب الخطية الساكنة فينا. وكثير من المؤمنين يعانون من الشعور بالذنب لأسباب مختلفة؛ فيعيشون وقلوبهم تلومهم وهذا في حد ذاته عبء كبير.

أضف إلى هذا مشاكل عدم القدرة على العيشة كما نتكلم وكما نحلم، ومشاكل الاجتماعات والاختلافات بين المؤمنين وبعضهم، بل كثيرًا ما يُحَوِّل المؤمنون بسبب جسدانيتهم الاجتماعات الروحية - والتي من المفروض أن تكون مكان راحتهم - إلى مصدر ضغط نفسي رهيب يضاف إلى قائمة الضغوط التي يعانون منها.

٥- ضغوط عائلية

لاشك أن العائلة ترتيب صالح من ترتيبات الله الحكيم لخليقته، ومن المفروض

coptic-books.blogspot.com

أن يكون هناك انسجام بين أفراد العائلة ليساعد أحدهما الآخر على مواجهة ضغوط الحياة.

لكن للأسف كثيرًا ما يحدث العكس، فتصبح العائلة نفسها مصدر ضغط نفسي على أحد أفراد الأسرة، أو أن كل أفراد الأسرة يمثلون ضغطًا نفسيًا على بعضهم البعض؛ فالزوج يضغط على الزوجة والزوجة تضغط على الزوج، والأولاد يمثلون ضغط على الأب والأم، والأب والأم ضغط على الأولاد.

وكل هذا راجع إلى أسباب كثيرة منها الطبيعي ومنها غير الطبيعي. فالالتزام والمسئولية اللذان تفرضهما مطاليب الأسرة يمثلان أحيانًا عبئًا وضغطًا على أفرادها، لكنه عبء شرعي ولابد من احتماله. لكن - للأسف - هناك ضغوط لا داعي لوجودها ناتجة عن الأنانية ومحبة الذات وتسرب روح العالم إلى الأسرة المسيحية.

٦- ضغوط العمل

العمل في حد ذاته ترتيب إلهي وبركة كبيرة، إلا أنه في عصر العولمة والتغير السريع والاقتصاد الحر والتنافس المرعب مع انتشار الفساد والشر لابد أن يكون عبئًا نفسيًا.

٧- ضغوط العلاقات

الاحتكاك بالناس والعلاقة بهم أمر ليس سهل سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين فهو يتطلب قدرًا كبيرًا من الحكمة والنعمة، وبعض هذه العلاقات قد يتحول مع الوقت ودون أن يقصد المؤمن إلى عبء وثقل نفسي، ولاسيما إن كان المؤمن مضطربًا في علاقته مع الله.

◁ وهل ترى أي جانب إيجابي في هذه الضغوط؟

◀ في الحقيقة لست أنا الذي أرى بل الله. فعندما يقول أن «الضيق ينشئ

coptic-books.blogspot.com

صبرًا» بل ويقول قبلها أننا «نفتخر أيضًا في الضيقات» فهذا يعني أنه يراها من وجهة معينة إيجابية، أي نافعة وليست ضارة.

◁ وهل الضغوط إيجابية ونافعة في كل الأحوال؟

◄ بالطبع لا، لكن على المؤمن أن يدرك جيدًا أن **الله لم يعدنا بحياة سهلة تخلو من الضغوط**، كما أنه يرى أن تعرضنا لهذه الضغوط لازم لنا، وبالتالي فعلينا أن نتقبلها ونحسن التعامل معها.

◁ ماذا تقصد بالقول: "نحسن التعامل معها"؟

◄ **أولاً:**

بأن **نتقبلها** لأن رفضها لن يغير من الواقع شيء،

لكنه سيملأ النفس بالمرارة وقد يدفعها لخطية التذمر.

ثانيًا:

أن المؤمن إن كان في شركة صحيحة مع الرب،

يتمتع بضمير غير ملوم

وذهن يتجدد بكلمة الله

وقلب يفرح في العلاقة مع إلهه

سيجد في عرش النعمة **تعزية وتشجيع وحكمة**

تمكنه من مواجهة الضغوط والاستفادة منها.

◁ ماذا تقصد بالاستفادة منها؟

◄ أقصد ما قصده الكتاب عندما قال أن «الضيق ينشئ صبرًا»: فالصبر الذي تنشئه الضغوط هو البركة العظمى التي نحتاج إليها في هذه الأيام، وهو المؤهل حتمي الوجود عند كل مَنْ يرغب في خدمة الرب.

◁ ما المقصود **بالصبر**؟

coptic-books.blogspot.com

◄ هناك أكثر من كلمة في اليونانية تترجم صبر؛ فمنها ما يشير إلى الانتظار ومنها ما يشير إلى طول الأناة، لكن الكلمة المستخدمة هنا هي hupomone وهي من مقطعين الأول: hupo والثاني: mone. وهي مشتقة من الفعل hupomeno وهو أيضًا من مقطعين:

المقطع الأول hupo ويعني: **تحت**،

والمقطع الثاني meno ويعني: **يبقى أو يستمر أو يثبت**.

ويصبح المقطعان معًا يكونان فعلاً واحدًا يعني:

الاستمرار والثبات تحت ثقل، أي ببساطة **تَحَمُّل الضغوط**، أو كما وضعت في رأس هذا الحوار: **المرونة والصلابة**.

فكم يحتاج كل مؤمن في حياته – ولاسيما مَنْ يخدم الرب – أن يتحلى بهذه الصفة العظيمة:

أن يكون قادرًا على تحمل الضغوط

مرنًا نفسيًا، فلا يكل وينقصف،

وصلبًا فلا ينحني وينكسر.

وإذا تأملت الخادم الأعظم والإنسان الأمثل، ربنا يسوع المسيح، تجد هذه القدرة واضحة فيه كل الوضوح. ففي (عبرانيين ١٢:١) والرسول يحرض المؤمنين على أن يحاضروا بالصبر (يستخدم هذه الكلمة hupomone في الجهاد الموضوع أمامهم) أي عندما يطالبهم بأن يتحلوا بالقدرة على التحمل يضع أمامهم في العددين التاليين الرب يسوع من وجهتين مستخدمًا في كلتا الحالتين نفس الفعل hupomeno.

فيقول لهم في العدد الثاني:

«ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكَمِّله يسوع،

الذي من أجل السرور الموضوع أمامه،

coptic-books.blogspot.com

احتمل الصليب مُستهينًا بالخزي،

فجلس في يمين عرش الله»

وهنا يصف صلابته التي لم تنحني

ولم تنكسر تحت حمل الصليب.

ثم في العدد الثالث يقول:

«فتفكَّروا في الذي احتمل من الخطاة مُقاومةً لنفسه
مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم
(أو في أذهانكم)[1]»

وفي هذه نراه يحتمل لسنين كثيرة المقاومة

إلا أن قدرته على التحمل جعلته مرنًا

فلم يكل ويخور، أي لم ينقصف،

بل كما شهد عنه الله في (إشعياء ٤٢: ٤):

«لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض»

فلأنه مرن لم يكل طوال حياته، ولأنه صلب لم ينكسر عند الصليب.

◁ وهل حدث ذلك مع أناس تحت الآلام مثلنا؟

◀ أعتقد أن موسى عندما ترك مصر غير خائف

من غضب الملك **كان صلبًا فلم ينكسر**

إلا أنه أثناء رحلته في البرية أصيب **بالكلل**،

---

١ بحسب ترجمة داربي، J.K.

coptic-books.blogspot.com

على العكس **إيليا** كان مرنًا عندما قبل الاختباء عند أرملة صرفة صيدا، فهناك تعرَّض لكم كبير من الضغوط المرعبة إذ كان كل شيء ضد طبيعته: طبيعته كرجل، وكرجل جبلي، وكرجل يهودي، وكرجل الله. إلا أنه **كان مرنًا، فلم يكُل** وأتم تدريبه هناك بنجاح عظيم.

إلا أنه للأسف **انكسر** تحت تهديد إيزابل.

كان **دانيال** أيضًا **مرنًا** فقد امتلأت حياته بالصعود والهبوط من قمة المستوى الاجتماعي لقاعه ثم من القاع للقمة ومن القمة للقاع وهكذا توالى الصعود والهبوط،

إلا أنه ظل **ثابتًا متمسكًا** بإلهه.

وإذا ألقيت نظرة سريعة على حياتنا يا عزيزي ستجد أن الحياة عامة بصورة واسعة، والحياة الروحية بصورة أضيق ولاسيما الخدمة تتطلب:

قدرًا كبيرًا من المرونة فتتحمل ولا تكل،

وقدرًا عظيمًا من الصلابة فتثبت ولا تنكسر.

ولا يستطيع الله أن يكسبنا هذه القدرة على التحمل إلا من خلال تعريضنا لضغوط متعددة.

◁ ألا يمكن أن تؤدي هذه الضغوط نفسها إلى كسرنا أو إلى كللنا؟

◀ بالطبع من الممكن في إحدى حالتين:

أولاً: أن يخطئ الله في تقدير جرعة الضغط التي نحتاجها فيكون كالصيدلي الذي يخطئ في تجهيز الدواء فيميت مريضه بدلاً من أن يعالجه. وبالطبع حاشا لله من هذا، فهو الحكيم وحده الذي يعرف معدن كل واحد فينا وطاقته وكم الضغط الذي يحتاجه.

coptic-books.blogspot.com

ثانيًا: أن تخطئ أنت في الاستجابة لهذه الضغوط:

بأن: **تقاومها فتنكسر**

أو أن: **تكل وتخور تحتها،**

والأمران واردان. ولذا حذَّر الرسول من هذين الأمرين بعدما شجعنا على العكس عندما عرض علينا الرب يسوع كالمثال، ففي (عبرانيين١٢: ٥) يقول:

«يا ابني، لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخُر إذا وبخك»

وأعتقد أن:

الاحتقار هنا: هو رفضه للضغط ومقاومته **فينكسر**،

والخوار: هو عدم استقباله بمرونة **فيكِّل ويخور**.

◁ وما الذي يضمن الاستجابة الصحيحة لهذه الضغوط؟

◀ أقدمها لك في نقاط مختصرة:

١- انزع من ذهنك الوهم الكبير أن الحياة من الممكن أن تكون بلا ضغوط.

٢- تذكر دائمًا أن جرعة الضغط محسوبة بدقة ولن تزيد إطلاقًا عن طاقة احتمالك. فالذي حددها وأرسلها هو الحكيم وحده، والذي أحبك من كل قلبه، وهو يضغط لأنه يبغي خيرك.

٣- اقبل الضغط بصدر رحب وتذكر أن الرفض والتذمر لن يرفع الضغط عنك لكنه سيرفع السلام من قلبك.

٤- تذكر أن ذرات الكربون في حد ذاتها لا نفع منها بل وربما تكون ضارة أو سامة، إلا أنها تحت ضغوط معينة تتحول إلى فحم، وكم للفحم من فوائد. وتحت ضغوط أعظم وعلى أعماق أبعد هي ذاتها تتحول إلى الماس، أكثر الأحجار صلابة على وجه الأرض بالإضافة إلى جماله الخلاب.

coptic-books.blogspot.com

وتذكر كذلك أنك بدون هذه الضغوط لا نفع منك، وأن قيمتك ونفعك يتوقفان على كم الضغوط التي تتعرض لها وصمودك تحتها.

٥- اعرف جيدًا أنه لا ثبات تحت الضغوط إلا بالاستناد اليومي على نعمة الرب، وتعوّد أن تسحب يوميًا من عرش النعمة ما يكفيك للصمود. هذا ما عاش به بولس، فعلى الرغم من كثرة الضغوط كان ثابتًا إلى النهاية وصار نافعًا بلا حدود لأنه كان يستمد يوميًا ما يكفيه للصمود من تموين النعمة

«تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل».

٦- تأكد أن الرب يسوع كرئيس الكهنة العظيم يعرف تعبك تحت الضغط، فهو قد تألم مجربًا في كل شيء ويقدر أن يعينك، فلا تتوانى في طلب المعونة كلما احتجت.

٧- تذكر أن الرب سيرفع عنك هذا الضغط في الوقت المعين متى أنجز قصده.

٨- أخيرًا تطلع إلى المستقبل بفرح وتذكر قول الكتاب:

«طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزَكَّى ينال إكليل الحياة»
(يعقوب ١:١٢).

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

في هذا الكتاب

- من تدرب كثيراً على أن يقول لنفسه "لا" أمام رغباتها المشروعة لعدم توافرها، سيسهل عليه أن يقول لنفسه "لا" أمام رغباتها غير المشروعة رغم توافرها.

- أن أسمى شيء يستحق أن تُنفق حياتك القصيرة على الأرض لأجله هو أن تخدم الرب. فأن يستخدمك الله وأن تكون خادماً للرب، هذا شيء يقصر أي قلم عن وصف عظمته وسموه.

- الخدمة الحقيقية هي أن تكون رجلاً قريباً من قلب الرب وفكره، وتفرح قلبه بطاعتك له.

- القداسة هي المناخ الوحيد الذي تنشأ وتنجح فيه الخدمة الحقيقية.

- كيف نخدم الرب دون أن نفهم أفكاره؟ وكيف نفهم أفكاره لننجزها دون شركة عميقة معه؟

- كل مؤهلات ومواهب الخادم مهما عظمت، تصير جسداً بلا روح، إن تزحزح الخادم عن خضوعه الكامل للرب.

- لن تغيب الشمس أبداً عن حياة يديرها الله، ولن تُحرم من الدفء أبداً حياة تستند على الله.

- كم يحتاج كل مؤمن في حياته أن يكون قادراً على تحمل الضغوط: مرناً نفسياً، فلا يكل وينقصف، وصلباً فلا ينحني وينكسر.

coptic-books.blogspot.com